

تقديم

هذه طبعة جديدة لكتاب (ام القرى) قوبلت على الطبعات المختلفة التي صدرت له ، مما يجعلها لا تختلف عن الطبعة الاولى التي اصدرها المؤلف لأول مرة .

ولا بد ، في هذه المناسبة ، من الاشارة الى حقيقة تاريخية تلقي ضوءاً على موضوع هذا الكتاب ، وهي ان جدي رحمه الله الف (أم القرى) و (طبائع الاستبداد) قبل هجرته الى مصر ، وكان عمي الدكتور اسعد الكواكبي يتولى تبييض ام القرى له وهو في حلب ، كما اخبرني ايضاً عالم حلب الثقة المرحوم الشيخ راغب الطباخ ان المؤلف أطلعته عليه قبل سفره الى مصر . ولما كان « السيد الفراني » ، لم يغادر حلب خلال مقامه فيها الا الى استانبول ، ولم يبق بجولاته الى العالم الاسلامي الا بعد رحيله الى مصر ، فان المؤتمر الذي عقد في مكة ، والذي يدور عليه موضوع الكتاب ، انما هو مؤتمر تخيله المؤلف ليعرض فيه آراءه الاصلاحية في قالب جذاب يستهوي النفوس .

عبد الرحمن الكواكبي

ابها الواقف على هذه المذكرات :

اعلم انها سلسلة قياس لا يعني أولها عن آخرها شيئاً . وانها حلقات معان مرتبطة مترقية لا يعني تصفحها عن تتبعها . فان كنت من أمة الهداية ، وفيك نشأة حياة ودين وشمة مروءة ، فلا تعجل بالنقد حتى تستوفي مطالعتها وتعي الفواتح والخواتم ، ثم شأنك ورأيك .

أما اذا كنت من أمة التقليد واسراء الاوهام ، بعيداً عن التبصر ، لاتب ان تدري من انت وفي اي طريق تسير ، وما حق دينك ونفسك عليك والى ماذا تصير ، فتأثرت من كشف الحقائق وديب النصائح ، وشعرت بعار الانحطاط وقل الواجبات ، فلم تطق تتبع المطالعة وتحكيم العقل والنقل في المقدمات والنتائج ، فاناشدك الالهال الذي الفناه ان تطرح هذه المذكرات الى غيرك ليرى فيها رأيه .

السيد الضرائفي

اضطار

من يظفر بنسخة من هذا السجل فليحرص على اشاعته بين الموحدين ، وليحفظ نسخة منه ليضيف اليه ماسيتلوه من نشرات الجمعية باسم « صحائف قريش » ، التي سيكون لها شأن ان شاء الله في النهضة الاسلامية العلمية والاخلاقية .

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل
المخلوقين، وعلى آله واصحابه أنصار دينه الاولين، وعلى اتباعهم في
مسالكهم الى يوم الدين .

أما بعد فأقول، وأنا هو الرحالة المتكفي بالسيد الفراتي :
انه لما كان عهدنا هذا، وهو اوائل القرن الرابع عشر، عهداً
عم فيه الخلل والضعف كافة المسلمين، وكان من سنة الله في خلقه
أن جعل لكل شئ سبباً، فلا بد لهذا الخلل الطارىء، والضعف
النازل، من اسباب ظاهرة غير سر القدر الخفي عن البشر؛ فدعت
الحجة بعض أفاضل العلماء والسراة والكتاب السياسيين للبحث
عن أسباب ذلك، والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية،
فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك في بعض الجرائد الاسلامية الهندية

والمصرية والسورية والتأريية، وقد اطلمت على كثير من مقالاتهم
الفراء في هذا الموضوع الجليل ، واتبعت اثرهم بنشر مالمح لي في
حل هذا المشكل العظيم .

ثم بدا لي ان اسعى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سرة
الاسلام في مهد الهداية اعني « مكة المكرمة » . فمعدت العزيمة
متوكلا على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة امهات البلاد
العربية^(١) ، لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم اداء
فريضة الحج . فخرجت من وطني ، أحد مدن الفرات ، في أوائل
محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف وكني السن تشد :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| دراك فمن يدنف لعمرُك يُدفن | وما نافع نوح متى قيل قد فني |
| دراك فان الدين قد زال عزه | وكان عزيزاً قبل ذا غير هين |
| فكان له أهل يوفون حقه | بهدي وتلقين وحسن تلقن |
| إلام وأهل العلم أحلاس بيهم | أما صار فرضاً رأبُ هذا التوهن |
| هلموا الى بذل التعاون إنه | باهماله إثم على كل مؤمن |
| هلموا الى (ام القرى) وتأمرؤا | ولا تقنطؤا من روع رب مبين |
| فان الذي شادته اسياف قبلكم | هو اليوم لا يحتاج الا لألسن |

(١) لان العرب وخدم أو اياء هذا الأمر وهذا الدين كما سيفصل

فأتيت بلدة لأسميها ، وما اطلت المقام فيها حيث وجدتها كما وصف
أختها أبو الطيب بقوله :

ولم أر مثل جيرانني ومثلي لثلي عند مثلهم ومقام
بأرض ما اشتهيت رأيت فيها فليس يفوتها الا كرام
فخرجت منها سالكا الطريق البحري من اسكندرون معرجاً
على بيروت فدمشق ثم يافا فالقدس ، ثم جئت اسكندرية فصر ،
ثم من السويس يمت الحديدة فصنعاء فعدن ، ومنها قصدت عمان
فالكويت ، ومنها رجعت الى البصرة ومنها الى حائل^(١) الى المدينة
على منورها افضل الصلاة والسلام ، على مكة المكرمة فوصلتها
في أوائل ذي القعدة ؛ فوجدت اكثر الذين أجابوا الدعوة ممن
كنت اجتمعت بهم من افاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها
قد سبقوني بموافاتها . وما انتصف الشهر وهو موعد التلاقي الا
وقدم الباقون ماعدا الاديب البيروتي الذي حررنا القدر ملاقاته
لسبب أنبأنا عنه فعذرناه .

وفي اثناء انتظارنا منتصف الشهر ، سميت مع بعض الاخوان
الوافدين في تحري وتخيراتي عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم

(١) قاعدة امارة نجد أي بلاد ابن الرشيد

للجمعية ، وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبنجة سراي
وتفليس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودلهي وكلكته
وليفربول .

واذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في
حي متطرف في مكة ، مناسبة لعقد الاجتماعات بصورة خفية ،
ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داغستاني روسي لتكون مصنونة
من التعرض رعاية للاحتياط .

وقد انعقد من منتصف الشهر الى سلخه اثنا عشر اجتماعاً
غير اجتماع الوداع ، جرت فيها مذاكرات مهمة ، صار ضبطها
وتسجيلها بكل الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن
كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والمقررات ، غير ما آثرت
الجمعية كتبه كما سيشار اليه .

الاجتماع الاول

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الاولى واعضاؤها
اثنا وعشرون فاضلا ، كلهم يحسنون العربية ، فبعد ان عرفت
كلا منهم لباقي اخوانه ، وتعارفوا بالوجوه ، بادرتهم بتوزيع اثنين
وعشرين قائمة مهيئات قبالا ، مطبوعات بمطبعة الجلاتين التي استعرتها
من تاجر هندي في مكة لاجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق
الجمعية ، محرراً في نسخ القائمة مختصراً تراجم اخوان الجمعية جميعهم ،
بيان الاسم والنسبة والمذهب والمزية الخصوصية ، وموضفاً
فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها .

وأعضاء الجمعية هم : « ٤٤٣١٣٨١٥١٢٧٩٨١٢١٧٦٦٣٥٥٨٤٥٢٢ »

« ٨٤١٣٢٥٩٣٦٥٧٢٧٨٣٥٢٦٤٣٣٢٣٢٧٤٠٤٩١٩٨٦٧٥٦٢٣٢١ »

وأعني بذلك :

السيد الفراتي ، والفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل

الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث اليمني ، المحافظ البصري
العالم النجدي ، المحقق المدني ، الاستاذ المكي ، الحكيم التونسي ،
المرشد الفاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي
الكردي ، المجتهد التبريزي ، العارف التاتاري ، الخطيب القازاني ،
المدقق التركي ، الفقيه الافغاني ، صاحب الهندي ، الشيخ السندي ،
الامام الصيني .

ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الاخوة التي يعرفونها
مني من قبل وهي (لانعبد الا الله) مسترعياً سمعهم ، وخطبتهم
بقولي :

« من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة
الله والامانة لاخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر
بقوله : على عهد الله بالجهاد والامانة ، ومن كان لا يطبق العهد
فليعتزلنا » ؛ وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن يميني الى عقد
العهد ثم الذي يليه ثم وثم الى آخرهم .

ثم التمت منهم ان يتخبوا اأخدم رئيساً يدير الجمعية ومذاكراتها ،
وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل المقررات ؛ فأجابني العلامة
المصري : « ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد ، واذك

اشملهم معرفة بهم ، فأنا أترك الانتخاب لك « ؛ وما أتم رأيه هذا
الا وأجمع الكل على ذلك ، فحينئذ أعلنت لهم أنني أتخير للرئاسة
الاستاذ المسكي ، وأتخير نفسي لخدمة الكتابة ، تفادياً عن اتعاب
غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها، واستأذنت الافاضل الاعجام
منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض الفاظهم ، فأظهر الجميع
الرضاء والتصويب ، وصرح الاستاذ بالقبول مع الامتنان
من حسن ظنهم به ، واستولى على الجمعية السكوت ترقباً
لما يقول الرئيس .

أما الاستاذ الرئيس فقطب جبينه مستجمعاً فكره ، ثم
استهل فقال :

الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيده ودينه
وامرنا بالتعاون على البر والتقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد
القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) ، وعلى آله واصحابه
الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه ، لم يشغلهم عن اعزاز الدين
شاغل ، وكان أمرهم شورى بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم اياك
نعبد لانخضع لغيرك ، واياك نستعين لانتظر نفعاً من سواك
ولانخشى ضراً ، اهدنا الصراط المستقيم الذي لاخفيات ولاشنيات

فيه، صراط الذين أنعمت عليهم بنعمة الهداية الى التوحيد، غير
المغضوب عليهم بما أشركوا ولا الضالين بعد ما اهتدوا،
سبحانك ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من
أمرنا رشداً .

وبعد فيا ايها السادات الكرام، كل منا يعلم سبب اجتماعنا
هذا من سابق مفاوضات أخينا السيد الفراتي، الذي اجبنا دعوته
لهذه الجمعية شاكرين سعيه .

ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب، كما لا اجد حاجة
لتنشيط هممكم وتأجيح حميتكم لاننا كلنا في هذا العناء سواء، ولكن
أذكركم بمخلاصة تاريخ هذه المسألة فأقول :

ان مسألة تقهقر الاسلام بنت الف عام أو أكثر، وما حفظ
عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية إلا متانة الاساس،
مع انحطاط الامم السائرة عن المسلمين في كل الشؤون، الى ان
فاقتنا بعض الامم في العلوم والفنون المنورة للمدارك، فربت قوتها،
فنشرت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من مسلمين وغيرهم؛ ولم
يزل المسلمون في سبأهم الى ان استولى الشلل على كل اطراف
جسم المملكة الاسلامية؛ وقرب الخطر من القلب، أعني (جزيرة

العرب) ، قننته افكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم
لنيل اجر المجاهدين ، فهبوا ينشرون المواعظ والتذكرة والمباحث
المنذرة ، فكثرت المنتبهون ، وتحركت الخواطر ، لكنها حركة متحيرة
الوجه ، ضائعة القوة ، فعسى الله أن يرشد جمعيتنا للتوصل لتوحيد
هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وتدقيق النشريات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء
في هذا الموضوع ترى كلها دائرة على اربعة مقاصد ابتدائية فقط :
الاول منها : بيان الحالة الحاضرة ، ووصف اعراضها
بوجه عام وصفاً بديعاً يفيد التأثير ويدعو الى التدبر ، على ان ذلك لا
يلبت الا عشية أو ضحاها .

والثاني : بيان ان سبب الخلل النازل هو الجهل الشامل بيان
إجمال وتلميح ، مع ان المقام يقتضي عدم الاحتشام من
التفصيل والتشريح .

والثالث : انذار الامة بسوء العاقبة المحدقة بها إنذاراً هائلاً
تطير منه النفوس ، مع ان الحال الواقع لا تغني فيه النذر .

والرابع : توجيه اللوم والتبعة على الامراء والعلماء والكافة
لتقاعدهم عن استعمال قوة الاتفاق على النهضة ، مع ان الاتفاق وهم

متشاكسون متعذر لامتعسر .

فهذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من انواع بدائع
الاساليب ، وآن أوان استثمارها ، وذلك لا يتم اذا لم يشخص
المرض او الامراض المشتركة ، تشخيصاً مدققاً سياسياً ، بالبحث
اولاً عن مراكز المرض ، ثم عن جراثيمه ، ليتعين بعد ذلك
الدواء الشافي الاسهل وجوداً والاضمن نتيجة ، وبالتنقيب ثانياً
عن تدبير ادخاله في جسم الامة بحكمة تصرع العناد والوهم ، وتغلب
على مقاومة أعضاء الذوق والشم .

ثم أظنكم ايها السادة تستحسنون الاكتنام الذي اختاره
أكثر هؤلاء الكتاب الافاضل ، لان لذلك محسنات بل موجبات
شتى ينبغي أن تستعملها جمعيتنا أيضاً ؛ فلنحرص كلنا على الاكتنام
لان من موجباته التزام كل منا المشرب العمري ، اعني القول
الصريح في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق
عامة أو عتاة ، لان حياة المريض مهلكة ، وكنتم الامر المستفيض
سخافة ، والدين النصيحة ، ولا حياة في الدين .

ومن موجبات الاكتنام أيضاً ان كل ما يخالف الفكر في
موضوع مسألتنا معروف عند الاكثرين ، ولكن بصورة مشتتة ،

والناس فيه على اقسام، فصنف العلماء اما جبناء يهابون الخوض فيه ، واما مراؤن مداجون يابون ان تخالف أقوالهم احوالهم . وبقاى الناس يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ، ولذلك كان القول من غير معرفة القائل أرفعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع .

ثم يا ايها الاخوان : أظنكم كذلك تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن متبعوها تقليداً، فلانعرف مأخذ كثير من احكامها ، وأن نعمد ما نعلم من صريح الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع ، وذلك لكيلا تفرق في الآراء وليكون ماقرره مقبولاً عند جميع اهل القبلة ، اذ ان مذهب السلف هو الاصل الذي لا يرد ولا تستكف الامة أن ترجع اليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل ، لان في ذلك التساوي بين المذاهب، فلا يثقل على احد نبذ تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الاول .

ولا يكبر هذا الرأي على البعض منكم ؛ فما هو برأي حدث بين المسلمين ، بل جميع اهل جزيرة العرب ما عدا اخلاط الحرمين

على هذا الرأي ، ولا يخفى عليكم ان اهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين الى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة ، وغالبهم الحنابلة او الزيدية مذهباً ، وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم اهله وحملته وحافظوه وحماته ، وقاما خالطوا الاغيار ، او وجدت فيهم دواعي الاغراب والتقنن في الدين لاجل الفخار ^(١) . ولا يعظمن على البعض منكم أيضاً انه كيف يسوغ لاحدنا ان يثق بفهمه وتحقيقه مع بعد العهد ، ويترك تقليد من يعرف انه افضل منه واجمع علماً وأكثر احاطة واحتياطاً

ولا اظن ان فينا من ليس في نفسه اشكال عظيم في تحري من هو الاعلم من بين الائمة والعلماء والاحرى بالاعتماد على تحقيقه ، لوجود اختلافات واضطرابات مهمة بينهم ما بين نفي واثبات ، حتى في كثير من الامور التعمدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة المتكررة الوف مرات ، مثل : هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور اصحابه عليهم الرضوان يصلون وتر العشاء بتسليمه ام بتسليمتين ؟ وهل كانوا يقنتون في الوتر ام في الصبح ؟ وهل كان المؤمنون يقرؤن ام ينصتون ؟ وهل كانوا يرفعون الايدي

(١) سيأتي في اواخر السجل بحث مشبع في مزايا العرب

عند تكبيرات الانتقال ام لا يرفعون ؛ وهل يعقدون الايدي
ام يرسلونها .

فاذا كان الائمة والعلماء الاقدمون هذا شأنهم من التباين
والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعلية هي عماد الدين، اعني الصلاة
التي هي من المشهورات المتكررات وتؤدي بالجموع والجمهير ،
فكيف يكون شأنهم في الاحكام التي تستند الى قول او فعل
اوسكوت صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم مرة او مرات فقط ،
ورواها فرد او افراد .

فعلى هذا ، لا ارى من مانع ان تترك النقول المتخالفة
خصوصا منها المتعلق بالبعض القليل من الاصول ، ونجتمع على
الرجوع الى ما نفهمه من النصوص ، او ما يتحقق عندنا حسب
طاقتنا انه جرى عليه السلف ، وبذلك نتحد وجهتنا ويتسنى لنا
الاتفاق على تقرير ما نقرره ، ويقوى الامل في قبول الامة منا
ما ندعوها اليه .

واني اسلفكم ايها السادات انه ينبغي ان لا يهولنا ما
ينبسط في جمعيتنا من تفاقم اسباب الضعف والفتور كيلا نياس

من روح الله ، وان لانتمم الاصابة في قول من قال : اننا امة
ميتة فلا ترجى حياتنا ، كما لا اصابة في قول من قال : اذا نزل الضعف
في دولة او امة لا يرتفع ؛ فهذه الرومان واليونان والامريكان
والظليان واليابان وغيرها كلها امم امثالنا استرجعت نشأتها
بعد تمام الضعف وقد كل اللوازم الادية للحياة السياسية ،
بل ليس بيننا ولا سيماء عرب الجزيرة منا وبين اعظم الامم الحية
المعاصرة فرق سوى في العلم والاخلاق العالية ، على ان
مدة حضارة العلم عشرون عاما فقط ومدة حضارة الاخلاق
اربعون سنة .

فعلينا ان نشق بعناية الله الذي لا يعبد سواه ؛ وبهذا الدين
المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ، ولم يزل بالنظر لوضعه الالهي
دينا حنيفا متيناً محكما مكيناً لا يفضله ولا يقاربه دين من
الاديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان .

ثم ايقنوا ايها الاخوان ان الامر ليسور ، وان ظواهر
الاسباب ودلائل الاقدار مبشرة ان الزمان قد استدار ، ونشأ
في الاسلام انجاب احرار وحكماء ابرار يعدوا واحدهم بألف وجمعهم
بألف الف . فقوة جمعية منظمة من هؤلاء النبلاء كافية لان تحرق

طبل حزب الشيطان، وتسترعي سمع الأمة مها كانت في رقاد عميق، وتقودها الى النشاط وان كانت في فتور مستحكم عتيق، على أن محض انمقاد جمعيتنا هذه لمن أعظم تلك المبشرات، خصوصاً اذا وقفها الله تعالى بعنايته لتأسيس جمعية قانونية منتظمة، لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً بما لا يفي به عمر الواحد الفرد، وتأتي باعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد؛ وهذا هو سر ما ورد في الاثر من ان يد الله مع الجماعة، وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم بالمعظائم وتأتي بالعجائب، وهذا هو سر نشأة الامم الغربية، وهذا هو سر النجاح في كل الاعمال المهمة، لأن سنة الله في خلقه ان كل أمر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل الا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته، وان كل امر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل يكون احكم وارسخ واطول عمراً مما اذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير.

وكلنا يعلم ان مسألتنا اعظم من ان يفي بها عمر انسان ينقطع، او مسلك سلطان لا يطرد، او قوة عصبية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتغور سريعاً.

وإذا تفكرنا ان مبدأ اعظم الاعداد اثنان فذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم تزايد حتى تكمل، وتقلب اشكالا حتى ترسخ؛ فعلى

هذا لا يبعد ان يتم لنا انعقاد جمعية منتظمة تنعقد الآمال بناصيتها .
ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم الى ان الجمعيات معرضة في شرقنا
لتيار السياسة فلا تعيش طويلاً ، ولا سيما اذا كانت فقيرة ولم تكن
كغالب الاكاديميات اي لمجامع العلمية ، تحت حماية رسمية ؛ بل
الايق بالحكمة والحزم الاقدام والثبات وتوقع الخير الى ان يتم
المطلوب .

هذا وان شرقنا مشرق العظمم والزمان ابو العجائب ، وما على
لله بعزيز ان يتم لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهوري ، اذا
نادى مؤذنها حي على الفلاح في رأس لرجاء يبلغ أقصى الصين صدها .
ومن المأمول ان تكون الحكومات الاسلامية راضية
بهذه الجمعية حامية لها ولو بعد حين ، لان وظيفتهم الاساسية ان
تنهض بالامة من وهدة الجهالة وترقى بها في معارج المعارف ، متباعدة
عن كل صبغة سياسية ، وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .

ولنبداً الآن بتشخيص داء الفتور المستولي على الامة تشخيصاً
سياسياً مدققاً ، فارجوكم ايها السادة ان يعمل كل منكم فكره الثاقب
فيما هو سبب الفتور ، ليبين رأيه وما يفتح الله به عليه في اجتماعاتنا
التي نواليها كل يوم ، ماعدا يومي الثلاثاء والجمعة ، من بعد طلوع

الشمس بساعة الى قبيل الظهر أعني الى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة،
ففتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذاكرات التي جرت في الاجتماع
السابق ثم نشرع بالمفاوضات .

واني أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التي تدور
عليها مذاكرات جمعيتنا ، وينبغي لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها
وهي عشر مسائل :

- ١ - موضع الداء .
- ٢ - اعراض الداء .
- ٣ - جراثيم الداء .
- ٤ - ماهو الداء .
- ٥ - ماهي وسائل استعمال الدواء .
- ٦ - ماهي الاسلامية .
- ٧ - كيف يكون التدين بالاسلامية .
- ٨ - ماهو الشرك الخفي .
- ٩ - كيف تقاوم البدع .
- ١٠ - تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية .

ولما انتهى خطاب الاستاذ الرئيس ، وانتهت الجلسة ، قال السيد

الفراي: إني أرى أن يقيد كل منا هذه المسائل العشر في جانب من ورقة التراجم ليكون القيد تذكراً له، نحف أربعة منهم نحو المكتبة وأخذ كل قلماً وقيد فهرست المسائل، ثم توألى الباقيون على ذلك؛ وعندما فرغوا من التحرير خاطبهم السيد الفراي بقوله: إني اغتم تشريفكم الأول لمجلي وسيلة لضيافتكم، وقد أعددت ما يتسهل أعداده لغريب مثلي في مثل هذه البلدة المباركة، ثم خرج بهم إلى محل المائدة، وكان حديثهم على الطعام استقصاء أخبار مهتدي ليفربول من السعيد الانكليزي، وبعد أن طعموا عرض عليهم الشاي والقهوة والشراب المثلوج، فكل اختار ما ألف وأحب، ثم انصرفوا أزواجا وفرادى مجيبين دعوة خير الدعاة، إذ كان قد دنا وقت الصلاة.

الاجتماع الثاني

يوم الاربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع ، وبعد قراءة ضبط
الجلسة الاولى افتتح الكلام الاستاذ الربيعي فقال :

انا نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض
فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً ، او مع وصفه بالدفين او المزمّن او
المضال ، ولعل مأخذ ذلك ماورد في الاثر وألفته الاسماع من تشبيه
المسلمين بالجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُه بالسهر والحمل .
ويلاحظ لي ان إطلاق الفتور العام أليق بان يكون عنواناً لهذا البحث
تعلق الحالة النازلة بالادبيات أكثر منها بالماديات ، ولان آخر ما فيها
ضعف الحس فيناسبه التعبير عنه بالفتور .

كما ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لكافة اعضاء الجسم
الاسلامي ، فيناسب ان يوصف بالعام ، وربما يتوقف الفكر في
الوهلة الاولى عند الحكم بان الفتور عام يشمل كافة المسلمين ، ولكن

بعد التدقيق والاستقراء نجد شاملا للجميع في مشارق الارض
ومغاربها لا يسلم منه الا أفراد شاذة .

فيا أيها السادة : ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون
للمسلمين ، من أي قوم كانوا وأينما وجدوا ، وكيفما كانت
شؤونهم الدينية او السياسية او الافرادية او المعاشية ؛ حتى اننا
لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في اقليم او قريتين
في ناحية او بيتين في قرية ، اهل احدهما مسلمون والآخرون — ير
مسلمين ، الا ونجد المسلمين اقل من جيرانهم نشاطا وانتظاما في
جميع شؤونهم الحيوية الذاتية والعمومية ؛ وكذلك نجد اقل اتقانا
من نظرائهم في كل فن وصنعة ، مع أننا نرى أكثر المسلمين في
المواضع ، وجميعهم في البوادي ، محافظين على تميزهم عن غيرهم من
جيرانهم ومخالطهم في أمهات المزايا الاخلاقية . مثل الامانة والشجاعة
والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب تعمم هذا الفتور ، وملازمته بجامعة
هذا الدين كملزمة العلة للمعلول ، بحيث أينما وجدت الاسلامية وجد
هذا الداء ، حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لا يجتمعان ؛
هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولاً بالبحث

تدقيق واستقراء ، عسى أن نهتدي الى جرثومة الداء عن يقين ،
فندعى في مقاومتها ، حتى اذا ارتفعت العلة برىء العليل ان شاء
الله تعالى .

قال الفاضل السامي : ابي اوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه
وتوصيفه الحالة النازلة بالفتور ، كما ابي لأعلم مايعارض كون هذا
الفتور عاما محيطاً بجميع المسلمين .

قال الصائب الزهري : ابي وان كنت اقل الاخوان فضيلة
ولكنني جوال ، وقد خبرت البلاد وأحوال العباد ، ولا شك عندي
في أن هذا الفتور عام وان كان لا يظهر في بعض المواضع التي ليس
فيها غير المسلمين ، كأواسط جزيرة العرب وبعض جهات افريقيا ،
ولا يظهر ايضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم
من أهل النحل الوثنية الغربية الوضع ، المتناهية في الشدة ، كبقايا
الصابئة حول دجلة الذين يضيعون كثيراً من اوقاتهم منغمسين في
الماء تبعداً ، وكالكونغو من الزنوج ، وكالبوذية من الهنود المعتقدين
أن كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة
عندهم ، فان أمثال هؤلاء اكثر فتورا من المسلمين ، على ان ذلك
لا يرفع صفة الفتور وعموميته عن المسلمين .

فقال الروستاق الربيعي : ان الصاحب الهندي مصيب في تفصيله
وتحريره ، ولذلك رجعت عن قولي بأن المسلمين أحط من غيرهم
مطلقا الى الحكم بانهم أحط من غيرهم ، ماعدا أهل النحل المتشددة
في الدين .

قال الحافظ البصري : يلوح لي انه يـ — لزم استثناء الدهريين
والطبيين وأمثالهم ممن لا دين لهم ، لأنهم لا بدان يكونوا على غير
نظام ولا ناموس في اخلاقهم ، معذبين منغصين في حياتهم منحطين
عن اهل الاديان ، كما يعترف بذلك الطبيعيون فيقولون عن أنفسهم
انهم أشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه الصاحب الهندي : أي كنت ايضا اظن انه يوجد في
البشر أفراد ممن لا دين لهم ، وان من كانوا كذلك لاخلاق لهم ؛
ثم ان خبرتي الطويلة قد برهنت لي ان الدين بمعناه العام وهو ادراك
النفس وجود قوة غالبية تتصرف في الكائنات ، والخضوع لهذه
القوة على وجه يقوم في الفكر ، هو أمر فطري في البشر ؛ وان
قولهم فلان دهري او طبيعي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي
الدهر او الطبيعة فيدين لما يتوهم .

بناء على ذلك ثبت عندني ما تقرره الاخلاقيون : من انه

لا يصح وصف صنف من الناس بلا دين لهم مطلقاً بل كل إنسان
يدين بدين ، اما صحيح . او فاسد عن أصل صحيح ، وإما باطل او فاسد
عن اصل باطل ، والفاسد ان يكون فسادهما بما بنقصان او بزيادة . او
بتخليط وهذه اقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل للنظام والنجاح في الحال ، والسعادة
والفلاح في المآل . والباطل والفاسدان بنقصان قد يكون أصحابها
على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة ؛ وأما الفاسدان بزيادة
او بتخليط فهلكة محضة . ثم اقول ربما كان تقريرى هذا غريباً في
بابه فالتمس ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق ، لانه اصل
مهم لمسألة الفتور العام المستولي على المسلمين .

قال الاستاذ الرئيس : اني اجلكم ايها السادة الافاضل عن
لزوم تعريفكم آداب البحث والمناظرة ، غير اني انبه فكمكم لامر
لا بد هو قائم في نفوسكم جميعاً ، أو تحبون ان يصرح به ، الا وهو
عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له ، واعتبار
ما يقوله ويبيده كل منا ان هو الا خاطر منحه له ، فربما كان صواباً
او خطأ ، وربما كان مغايراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً او عملاً ، وهو
أما يورده في الظاهر معتمداً عليه ، وفي الحقيقة مستشكلاً او مستثبتاً

او مستظلماً رأي الغير . بناء على ذلك فما احدٌ منا ملزم برأي يديه
ولا هو معلوم عليه ، وله ان يعدل او يرجع عنه الى ضده ؛ لانا انما
نحن باحثون لامتناظرون ، فاذا أعجبنا رأي المتكلم منا اثناء خطابه
اعجاباً قويا فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرعى)^(١) ، تأييداً لاصابة
حكاه واشماراً باستحسانه ، وعلى هذا النسق فلنمض في بحثنا فيما هي
أسباب الفتور العام .

قال الفاضل السامي : اني ارى ان منشأ هذا الفتور هو بعض
القواعد الاعتقادية والاخلاقية : مثل العقيدة الجبرية ، التي من بعد
كل تعديل فيها جعلت الامة جبرية باطناً قدرية ظاهراً (مرعى) .
ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف من الرزق ،
وامانة المطالب النفسية : كحب المجد والرياسة ، والتباعد عن الزينة
والمفاخر ، والاقدام على عظام الامور ، وكالتريغيب في ان يعيش
المسلم كبيت قبل ان يموت . وكفى بهذه الاصول مفترات ، مخدرات ،
مشبطات ، معطلات ، لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع ، ولثلها
نقى عمر بن الخطاب رضي الله عنه اباذر الغفاري الربذة .

(١) مرعى كلمة تعجب تقولها العرب عند اصابة الرامى

فاجابه البلوغ القرسي : ان هذه الاصول الجبرية والتزهيدية
المتزجة بعقائد الامة ، وما هو اشد منها تعطيلا للاخذ بالاسباب
ولنشأة الحياة ، موجودة في كافة الديانات ، لتعدل من جهة شره
الطبيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور ،
ولتكون من جهة اخرى تسلية للعاجزين وتقيساً عن المقهورين
البائسين ، وتوسلا لحصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في
مظاهر النعيم .

الا يرى إجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من
الله تعالى ، أو خيره منه وشره من النفس او من الشيطان ؛ ومع
ذلك ليس في البشر من ينسب امرا الى القدر الا عند الجهل بسببه
ستراً لجهله ، أو عند العجز عن نيل الخير او دفع الشر ستراً لعجزه ،
وحيث غلب اخيراً على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية
والعجز عن كل عمل ، التجأوا الى القدر والزهد تمويهاً لآدينا .

وهذا التبتل والخروج عن المال من اعظم القربات في النصرانية ،
فهل كان قصد شارع الرهبانية ان يتقرض الناس كافة بعد جيل
واحد ؛ ام كان قصده ان يشرعها على ان لا يتلبس بها الا البعض
الزهر ؛ كلا ، لا يعقل في هذا المقام الا التعميم ، وينتج من ذلك انه

لا يصح اعتبار هذه الاصول الجبرية والتزهدية سبباً للفتور ، بل هي سبب لاعتدال النشاط وسيره سيراً انتظاماً ورسوخاً .

وفي النظر الى المشاق والعظائم التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الغنى والرياسة والفخار فضلاً عن الثواب كفاية برهان ، مع ان الامة اذ ذاك كانت زاهدة فعلاً ، لا كالزهد الذي ندعيه الآن كذبا ورياء . (مرصى)

اذا تتبعنا كل ماورد في الاسلام حاناً على الزهد ، نجد أنه موجه الى الترغيب بالاثرة العامة ، أي بتحويل المسلم ثمرته سعيه للمنفعة العمومية دون خصوص نفسه ، حتى ان كل ماورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد وبه سعي المؤمن بكل الوسائل ، حتى يبذل حياته ، لاعزاز كلمة الله واقامة دينه ، لأني خصوصية محاربة الكفار كما تتوهم العامة ؛ كما ان المراد من محاربة الكفار هي من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ، ومن اخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين ؛ لان للامم المترقية عاملاً ولاية طبيعية على الامم المنحطة ، فيجب عليها انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرهها باسم الدين او السياسة .

ثم قال : اما عندي فيخيل الي أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية ، حيث كانت نيابية اشتراكية اي (ديمقراطية) تماما ، فصارت بعد الراشدين بسبب تماذي المحاربات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ، ثم صارت أشبه بالمطاقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الاول غير مدونة ولا محررة ، بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات ، وتفرقهم في البلاد ، فظهر في امر ضبطهم — خلافاً ومباينات بين العلماء ، وتحكمت فيها آراء الدخلاء ، فرجعوا الاخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية^(١) فاتخذ العمال السياسيون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسائل للانقسام والاستقلال السياسي ، فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية الى طوائف متباينة مذهباً متعادية سياسة ، متكافئة على الدوام . وهكذا خرج الدين من حضانة اهله وتفرقت كلمة الامة ، فطمع بها اعداؤها وصارت معرضة للمحاربات الداخلية والخارجية معاً ، لانصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في العلوم والحضارة على

(١) وليتهم لم يدخلوا فيه فلم يذنبوه ، ولم يتنلبوا على اهله حتى في ام

حق لقريش

حسبها . وقد اثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار
الاكثريّة امة جنديّة صنعة وأخلاقا ، بعيدة عن الفنون والصنائع
والكسب بالوجوه الطبيعيّة . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم
يبق مجال للحروب الراجحة ، فاقصرت الامة على المدافعات ، خصوصا
منذ قرنين الى الآن ، اي منذ صارت الجنديّة عند غيرهم صنعة علمية
مفقودة عندنا ، فصرنا نستعمل بأسنا بينما فنعميش بالتغالب والتحايل
لابل تعاون والتبادل ؛ وهذا شأن يميت الانتباه والنشاط ويولد
الجهول والفتور (مرعى)

اتدر الحكم التونسي واجابه : ان غيرنا من الاقوام ، جرمانيا
مثلا ، وجدوا في حكومات مطلقة كليا وفي اختلافات مذهبية وفي
انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ، ولم يشملهم
الفتور بوجه عام ؛ فلا بد للفتور في المسلمين من سبب آخر .

ثم قال : وفيما اتصور ان بلاءنا من تأصل الجهل في غالب امرائنا
المترفين ، الاخسر من اعمالا ، الذين ضلوا وأضلونا سواء السبيل وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا ، حتى بلغ جهل هؤلاء منزلة احط من
جهل العجماء التي لها طبائع ونواميس ؛ فمنها التي تحمي زمارها ،
وتمنع عن حدودها ، وتدفع عما استحفظت عليه ؛ وهؤلاء ليس لهم

طبائع ونواميس ، يخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم البعض ضالون على علم ، وهم الذين يشكون ويكون حتى يظن انهم مغلوبون على امرهم ، ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وايم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم ؛ يظهرون الرغبة في الاصلاح ، ويبطنون الاصرار والعناد على ما هم عليه من افساد دينهم وديارهم ، وهدم مباني مجدهم واذلال انفسهم والمسلمين ، وهذا داء عياء لا يرجى منه الشفاء لانه داء الفرور ، ولا يقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازما في مضمار ، وقد سرى من الامراء ، الى العلماء ، الى الكافة .

اجاب المولى الرومي : ان تحميل التبعة على الامراء فقط غير سديد ، خصوصا لان امراءنا انهم الالفيف منا ، فهم أمثالنا من كل وجه ؛ وقد قيل « كما تكونوا يولى عليكم » فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أمراؤنا مدنفين .

وعندي ان البلية فقدنا الحرية ، وما أدرانا ما الحرية ؛ هي ما حرمنا معناه حتى نسيناه ، وحرم علينا لفظه حتى

استوحشناه^(١) ، وقد عرف الحرية من عرفها : « بأن يكون
الانسان مختاراً في قوله وفعله لا يعترضه مانع ظالم » . ومن فروع
الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء ، وعدم
الرهبنة في المطالبة وبذل النصيحة . ومنها : حرية التعليم ، وحرية
الخطابة والمطبوعات ، وحرية المباحثات العلمية ؛ ومنها العلم دالة
بأسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم او غاصب او غدار مغتال ؛ ومنها
الأمن على الدين والأرواح ، والأمن على الشرف والأعراض ،
والأمن على العلم واستثماره . فالحرية هي روح الدين وينسب الى
حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه قوله :

وما الدين الا ان تقام شرائع وتؤمن سبل بيننا وهضاب

فلننظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع

والامن .

هذا ولا شك ان الحرية اعز شيء على الانسان بعد حياته ،

(١) ان المراد الرومي هو من اهل القسطنطينية الذين حرم عليهم

سياسة التلغظ بكلمات : حرية وجمية ووطن ومراد ورشاد وخلافة وخامع

ومبعوث ومعتوه ومختل الى نحو ذلك من الالفاظ التي تمس سياسة الوهم .

وان بفقدانها تفقد الآمال ، وتبطل الاعمال ، وتموت النفوس ،
وتتعطل الشرائع ، وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الخرفان حراً
لا يعرف للملك شئتانا ، يخاطب امير المؤمنين بيا عمر ويا عثمان ،
فصرنا ربما نقتل الطفل في حجر امه ونلزمها السكوت فتسكت ،
ولا تجسر ان تزعج سمعنا بكائها عليه .

وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فلا يحقر له عهد ،
فصرنا نمنع الجيش العظيم صلاة الجمعة والعيدين ، ونستهين دينه
لالحاجة غير الفخفة الباطلة (مرصى) .

فمثل هذا الحال لاغرو ان تسأم الامة حياتها فيستولي عليها
الفتور ، وقد كرت القرون وتوالت البطون ونحن على ذلك
عاكفون ، فتأصل فينا فقد الآمال وترك الاعمال والبعث عن الجد
والارتياح الى الكسل والهزل ، والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام
اسر النفس ، والاخلاد الى الجمول والتسفل طلباً لراحة الفكر
المضغوط عليه من كل جانب . الى ان صرنا نفر من كل الماديات
والجديات حتى لا نطبق مطالعة الكتب النافعة ولا الاصغاء الى
النصيحة الواضحة ، لان ذلك يذكرنا بمفقودنا العزيز ، فتألم ارواحنا
وتكاد ترهق اذا لم نأجأ الى التناهي بالملميات والخرافات المروحات .

وهكذا ضعف احساسنا وماتت غيرتنا، وصرنا نفضب ونحقد على من يذكرنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطيبة، لعجزنا عن القيام بها عجزاً واقعياً لا طبيعياً.

هذا ونعترف ان فينا بعض اقوام قد ألقوا الوف سنين الاستعباد والاستبداد، والذل والهوان، فصار الانحطاط طبعاً لهم تؤلمهم مفارقتة؛ وهذا هو سبب ان السواد الاعظم من الهنود والمصريين والتونسيين لاسيما بعد ان نالوا رغم انوفهم الامن على الانفس والاموال، والحرية في الآراء والاعمال، ولايرثون ولا يتوجعون لحالة المسلمين في غير بلادهم، بل ينظرون للناقمين على امراضهم المسلمين شذرا، وربما يعتبرون طالبي الاصلاح من المارقين من الدين، كأن مجرد كون الامير مسلماً يعني عن كل شيء حتى عن العدل، وكان طاعته واجبة على المسلمين، وان كان يخرب بلادهم ويقتل اولادهم ويقودهم لسلامتهم لحكومات أجنبية، كما جرى ذلك قبلا معهم، والحاصل ان فقدنا الحرية هو سبب الفتور والتعاس عن كل صعب وميسور.

اجاب المجهر التبريزي: ان هذا الحال ليس بعام، مع ان الفتور لم يزد ازدياداً عاماً، بل هو في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من

سبب آخر .

ثم قال : ويلوح لي ان انحطاطنا من أنفسنا ، اذ أننا كنا خير أمة أخرجت للناس نعبد الله وحده ، اي نخضع وتذلل له فقط ، ونطيع من اطاعه مادام مطيعاً له ، نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، امرنا شورى بيننا ، نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الاثم والعدوان ، فتركنا ذلك كله ماصعب منه وما هان .

وقد يُظن ان أصعب هذه الامور النهي عن المنكر ، مع ان ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل ، فان لم يكن فبالقول ، فان لم يكن فبالقلب ، وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الخائن والفاستق والنفور منه وايطال بغضه في الله ؛ ومن علام ذلك تجنب مجاملته ومعاملته ، ولا شك ان ايفاء هذا الواجب الديني كاف للردع ، ولا يتصور المعجز عنه قط ، قال تعالى : (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) ؛ فهذا هو سبب استرسال الامة لعبادة الامراء والاهواء والاهوام ، ولا طاعة العصاة اختياراً ، وترك التناصح ، وللكون الى الفساق والاذعان للاستبداد وللتخاذل في الخير والشر ، قال : (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير . ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون) وعنه صلى الله

عليه وسلم : (لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليستعملن الله عليكم شراركم فيسومونكم سوء العذاب) . الى غير ذلك من الآيات البيّنات والاحاديث المنذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

أجابه المرشد الفاسي : انا كنا على عهدالسلف الصالح شريعتنا سمحاء واضحة المسالك ، معروفة الواجبات والمناهي ، فكان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفه لكل مسلم ومسامه ، وكنا في بساطة من العيش ، متفرغين لذلك ، ثم شغلنا شأن التوسع فخصصنا لذلك محتسبين ، ثم دخل في ديننا اقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الاكتساب مكان الاحتساب ، وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلتها التي هي الجنديّة فقط ، فبطل الاحتساب وبطل الامر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعا ، فهذا يصلح ان يكون سبباً من جملة الاسباب ، ولكنه لا يكفي وحده لا يراث ما نحن فيه من الفتور .

على ان انحصار همة الامراء الدخلاء في الجباية والجنديّة أدى بهم لاهمال الدين كلياً ، ولولا ان في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً ، احداها قوله تعالى : (واطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي

الامر منكم) مع الغفلة عن المراد بأولي الامر، وما تقتضيه صيغة الجمع، وما يقتضيه قيد (منكم)، والثانية قوله تعالى: (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال: هل الجهاد المأمور به ما يستحصل به اعزاز كلمة الله، أم ما تؤيد به سلطة الامراء العاملين على الاطلاق؛ فاهمال الاهتمام بالدين قد جر المسامين الى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية، ولم يبق له عندهم اثر الا على رؤوس الالسن، لاسيما عند بعض الامراء الاعاجم، الذين ظواهر احوالهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم لا يترأفون بالدين الا بقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الامة، كما ان ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بانهم مشركون ولو شركا خفيا من حيث لا يشعرون.

فاذا اضيف الى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور، يحكم عليهم الشرع والمقل بان ملوك الاجانب افضل منهم واولى بحكم المسامين، لانهم اقرب للعدل ولاقامة المصالح العامة، واقدر على اعمار البلاد وترقية العباد، وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من اكثرهم، كما يقتضيه مفهوم: لا يهلك الله القرى واهلها مصلحون.

وقد افتخر النبي عليه السلام بانه ولد في زمن كسرى

انوشروان عابد الكواكب^(١) فقال : (ولدت في زمن الملك العادل).
وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدول الاسلامية
انه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسي) بغداد سنة ٦٥٦ ، امر
أن يُستفتى علماءها أيها افضل السلطان الكافر العادل أم السلطان
المسلم الجائر ، فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك ، فلما وقفوا على
الفتيا اجمعوا عن الجواب ، حيث كان رضي الدين علي بن طاووس
حاضرا ، وكان مقدما محترما ، فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل
العادل الكافر على المسلم الجائر ، فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : اني اظن ان السبب الاعظم لمحننا هو انحلال الرابطة
الدينية ، لان مبنى ديننا على ان الولاء فيه لعامة المسلمين ؛ فلا يختص
بمحافظة الرابطة والسيطرة على الشئون العمومية رؤساء دين سوى
الامام ان وجد ؛ والا فالامر يبقى فوضى بين الجميع ، واذا صار
الامر فوضى بين الكل فبالطبع تحتل الجامعة الدينية وتحل الرابطة
السياسية كما هو الواقع .

ومن اين لنا حكيم (كبسمرك) او ملزم (ككفاريالدى)

(١) يظن ان اتخاذ الشمس الآن شارة الملك في ايران ، وكذلك
اتخاذ الهلال والنجم شارة للملك عند الترك ، هو من بقايا دياناتهم الاولى .

يوفق بين امرائنا او يلزمهم ويجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا
الرابطة الجنسية ايضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب لقيف
اخلاط دخلاء ، وبقايا اقوام شتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه الى
هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف انه لولا رؤساء الدين في سائر الملل
وروابطهم المنتظمة المطردة ، أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة او
مديري او معلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ ، لضاعت الاديان
وتشعبت اخلاق الامم ، ونالهم ما نالنا من ان كل فرد منا أصبح
أمة في ذاته .

اجابه المحقق المدني : ان فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية
لايكفيان ان يكونا سببا للفتور العام ، بل لابد لذلك من سبب
أعم وأهم .

ثم قال : اما انا ، فالذي يجول في فكري ، ان الطامة من تشويش
الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين
الذين استولوا على الدين فضيعوه ، وضيعوا أهله . وذلك ان الدين انما
يُعرف بالعلم ، والعلم يعرف بالعلماء العاملين ، وأعمال العلماء قيامهم
في الامة مقام الانبياء في الهداية الى خير الدنيا والآخرة . ولاشك

ان لمثل هذا المقام في الامة شرفا باذخا يتعاضم على نسبة الهمم في تحمل
عنائه والقيام باعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العزم تطلعو الى
هذه المنزلة التي هي فوق طاقتهم ، وحسدوا اهلبا المتعاليين عنهم ،
فتحولوا للمزاحمة والظهور مظهر العلماء العظام بالانغراب في الدين
وسلوك مسلك الزاهدين ؛ ومن المادة ان يلجأ ضعيف العلم الى
التصوف ، كما يلجأ فاقد المجد الى الكبر ، وكما يلجأ قليل المال الى
زينة اللباس والاثاث (مرهق) .

فصار هؤلاء المتعاليين يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا
يحتمله محكم النظم الكريم ، فيفسرون مثلا البسمة او الباء منها بسفر
كبير ، تفسيرا مملوءاً بلفظ لا معنى له ، او بحكم لا برهان عليه . ثم
جاءوا الامة بوراثة اسرار ادعوها ، وعلوم لذيئات ابتدعوها ، وتسم
مقامات اخترعوها ، ووضع احكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها ،
وبالامعان نجدهم قد جاءوا مصداقا لما ورد في الحديث الصحيح :
(لتبعن منن من كان قبلكم شربا بشرب وذراعا بذراع) ، وفي رواية
(حذوا القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم) ،
(قلنا يارسول الله اليهود والنصارى ، قال هو : من) ؛ وذلك ان
هؤلاء المداسين اقتبسوا ما عنالك كله او جله عن اصحاب التامود

وتفاسيرهم ، ومن الجامع المسكونية ومقرراتها ، ومن البابوية ووراثته
السر ومن مضاهاة مقامات البطاركة والكردينالية والشهداء واسقفية
كل بلد ، ومظاهر القديسين وعجائبهم ، والدعاة المبشرين وصبرهم ،
والرهبنات ورؤسائها ، وحالة الاديرة وبادريتها ، والرهينة اي
النظاهر بالفقر ورسومها ، والحمية وتوقيتها ، ورجال الكهنوت
ومراتبهم وتميزهم في البستهم وشعورهم ، ومن مراسم الكنائس
وزينتها ، والبيع واحتفالاتها ، والترنحات ووزنها ، والترنحات واصولها ،
واقامة الكنائس على القبور وشد الرحال لزيارتها والاسراج عليها ،
والخضوع لديها وتعليق الآمال بسكانها . واخذوا التبرك بالآثار
كالقدح والحرية والدستار من احترام الذخيرة وقديسية المكاز .
وكذلك امرار اليد على الصدر عند ذكر بعض الصالحين من امرارها
على الصدر لاشارة التصلب ؛ وانزعوا الحقيقة من السر ، ووحدة
الوجود من الحلول ، والخلافة من الرسم ، والسقيان تناول القربان ،
والمولد من الميلاد وحفلته من الاعياد ؛ ورفع الاعلام من حمل
الصلبان ، وتعليق الواح الاسماء المصدرة بالتداء على الجدران من
تعليق الصور والتماثيل ؛ والاستفاضة والمراقبة من التوجه بالقلوب
انحاء امام الاصنام ، ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة

من حظر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم ، وسداليهود باب الاخذ من التوراة وتمسكهم بالتلمود الى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليدا لهؤلاء شبرا شبرا ، واقتفاء لآثرهم حجرا حجرا ، وهكذا اذا تبعنا البدع الطارئة نجد اكثرها مقتبسا وقليلها مخترعا .

وقد فعل المدلسون ذلك سحرا لعقول الجهلاء ، واختلابا لقلوب الضعفاء : كالنساء وذوي الاهواء والامراض القلبية او العصبية من العامة ، والامراء اللذي القياذ طبعا الى الشرك ، لان التعبد رغبة او رهبة لما بين ايديهم وتحت انظارهم اقرب الى مداركهم من عبادة آله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثل شئ ، ولان التعبد باللهو واللعب اهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع ، كما وصف الله تعالى عبادة مشركي العرب فقال : (وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية) اي صغيرا وتصفيقا ، وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقا وشهيقا وخلاعة ونميقا

(مرعى)

والحاصل ، ان بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ، ولا سيما بدعوى فئمة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير ، وباسماتهم العامة بالزهد الكاذب والورع الباطل والتقشف الشيطاني ؛ وبزنيهم

لهم رسوما تميل اليها النفوس الضعيفة الخاملة ، سموها آداب السلوك ،
مأذنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابي أو تابعي ، ظاهرها أدب
وباطنها تشريع وشرك ؛ وبجذبهم البله الجاهلين بتصعيب الدين من
طريق العلم والعمل بظاهر الشرع ، وتهوينه كل التهوين من طريق
الاعتقاد بهم وبأصحاب الفتور . وقد تجاسروا على وضع احاديث
مكذوبة اشاعوها في مؤلفاتهم ، حتى التبس أمرها على كثير من
العلماء المخلصين من المتقدمين والمتأخرين ، مع انها لا اصل لها في
كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب ،
ترغيباً بالاستفادة من الدخول في الرابطات والعصبيات المنعقدة بين
اشياعهم ، وترهيباً بتهديدهم معاكسيهم او مسيئي الظن بهم او
بإضرارهم في انفسهم وأولادهم واموالهم ، ضررا يتعجلهم في دنياهم قبل
آخرتهم (مرصى) .

وقد قام لهؤلاء المدلسين أسواق في بغداد ومصر والشام
وتلمسان قديما ، ولكن لا كسوقها في القسطنطينية منذ اربعة قرون
الى الآن ، حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات
كأنها هي دين معظم اهلها ، لا الاسلام ؛ وكانهم لما ورثوا عن الروم
الملك ، حرصوا على ان يرثوا طبائعهم ايضا ، حتى التوسع في هذه

المصارع السيئة ؛ فاقبس لهم المدلسون كثيراً مما بيناه ، وطبقوه على الدين وان كان الدين يأباه ، وزينه لهم الشيطان بانه من دقائق الدين وآدابه ، ومن هذه العواصم سرى ذلك الى الآفاق بالعدوى من الامراء الى العلماء الاغبياء الى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرم^(١) نفوذا عظيما ، به أفسدوا كثيرا في الدين ، وبه جعلوا كثيرا من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زورا بالكرامات المرهبة ، وبه حولوا كثيرا من الجوامع مجامع للطبالين ، الذين تريح من دوي طبولهم قلوب المتوهمين وتكفر اعصابهم ، فيتلبسهم نوع من الخجل يظنونه حالة من الخشوع ؛ وبه جعلوا زكاة الامة ووصاياها رزقا لهم ، وبه جعلوا مداخيل اوقاف الملوك والامراء عطايا لاتباعهم ، مما يسمى في البلاد العثمانية (دعاكو وطعامية) (مرصى) .

(١) السحر لغة اخراج الباطل في صورة الحق بالتويه واخذاع والسحر ، الذي في لسان الشرع هو ايضا ليس غير ذلك بدليل وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلت حكمته : (فلما اتقوا سحروا اعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) ، وقوله : (فاذا جالهم وعصيم يخيل اليه من سحرم انها تسمى) .

وبذلك ضاق على العلماء الخناق ، لارزق ولا حرمة ، وكنى بذلك مضيقا للعلم وللدِين ؛ لانه قد التبس على العامة علماء الدين الفقراء الاذلاء من هؤلاء المدلسين الاغنياء الاعزاء ، فتشوشت عقائدهم وضعف يقينهم . فضيع الاكثرون حدود الله وتجاوزوها ، وفقدوا قوة قوانين الله ففسدت ايضاً دنياهم واعتراهم هذا الفتور .

اجاب المولى الرومي : ان كل الديانات معرضة بالتمادي لانواع من التشويش والفساد ، ولكن لا تفقد من اهلها حكمة ذوي نشاط وعزم ، ينهون الناس ويرفعون الالتباس ، او يعوضون قواعد الدين اذا كان اصلها واهيا ^(١) فوهنت بقوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ؛ ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لافكارهم السامية ، ويفدون ما عزّوهان حفظ الشرفهم ، القائم بشرف قومهم ، بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من ان يصبجوا امواتا متحركين في ايدي اقوام آخرين .

ولقد اثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق ، ان المنشأ الاصيل لكل شقاء في بني حواء هو امر واحد لا ثاني له : الا

(١) لا كفواعد الدين الاسلامي .

وهو وجود السلطة القانونية منحلة ولو قليلا لفسادها، او لغلبة سلطة شخصية او اشخاصية عليها .

فما بال الزمان يرضن علينا برجال يبهون الناس ويرفعون
الالتباس ؟ يفتكرون بحزم ويعملون بعزم ، ولا ينفكون حتى ينالوا
ما يقصدون ، فينالون حمدا كثيرا ونفرا كبيرا واجرا عظيما .
وعندي ان داءنا الدفين : دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين،
وبعبارة اخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

فيه السير الفراتي الاستاذ الرئيس الى قرب وقت الانصراف،
وعندئذ جهر الاستاذ الرئيس بشعار (لا نعبد الا الله) استلفاتا
للاخوان ، وقال لهم : ان اخانا المولى الرومي لفارس مغوار نحب
منه ماعودنا من التفصيل والاشباع ، والان قد آن وقت الظهر
وحان ان نتفرق لنذكر الصلاة ، وموعدا غدا ان شاء الله تعالى .

الاجتماع الثالث

يوم الخميس ناسن عشر زى القعدة سنة ١٣١٦

فى الوقت المعين ، وهو بعد طلوع الشمس بساعة ، تم توارد
الاخوان لمحفل الجمعية ؛ غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة
ثم حضر واعتذر بأنه اعاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الامير
قد طلبه لزيارته ، فما وسعه الا الاجابة باكرا ، وما يظن ان
يستمرسل بينهما الحديثُ فيتأخر عن الميعاد ، ولكن صادف ان
الحديث كان طويلا

ثم قال الاستاذ الرئيس : انا متشوقون لتمام بحث
المولى الرومى ، وامر السيد الفراي ، كاتب الجمعية ، فقرأ
ضبط مذاكرات الاجتماع السابق ، حتى بلغ آخره من عبارة
المولى الرومى ، وهو قوله : وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا
تحت ولاية العلماء الرسميين ، وبعبارة اخرى تحت ولاية الجهلة

المتعمين .

فحينئذ افاض المولى الرومي في الكلام فقال : وهم المقربون من الامراء على انهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم ، فان هؤلاء المتعمين في البلاد العثمانية كانوا اتخذوا لانفسهم قانونا سموه (طريق العلماء) ، وجعلوا فيه من الاصول ما نتج ، منذ قرنين الى الآن ، ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجبال ، حتى للاميين ، بل وللاطفال .

ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال ، بمجرد تقادم السنين او ترادف العنايات ، لاسيما اذا كان من زمرة (زاد كان) ، اى الاصلاء ، فانه يكون طفلا في المهدي ، ويُنعت في منشوره الرسمي من قبل حضرة السلطان بانه : (أعلم العلماء المحققين) ؛ ثم يكون فطيما فيخطب بانه : (افضل الفضلاء المدققين) ؛ ثم يصير مرهقا فيعطى المولوية ، ويُشهد له بانه : (أفضى فضاة المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الانبياء والمرسلين) . ثم وُثم حتى يصدّر فيوصف : (باعلم العلماء المتبحرين ، وافضل الفضلاء المتورعين ، ينبوع الفضل واليقين) الى آخر ما في تلك المناشير من الكذب المشين !

ولا يظن ظان أن هذا الاطراء من حضرة السلطان المتعممين هو بقصد ان يقابله بالمثل ، ورفضهم اياه ومخاطبتهم له بنحو : (المولى المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن النظر والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، خليفة رسول الله ، مهبط الالهامات ، مصدر الكرامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة الثقلين ، ملجأ اهل الخافقين) . الى غير ذلك من مصارع الشرك والكبرياء والمباك .

هذا ، ولا ريب ، ان التسعين في المائة من العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نصوصهم المزورة ، كما أن الخمسة والتسعين من اولئك المتورعين ، رافعي اعلام الشريعة والدين ، يحاربون الله جهارا ، ويستحقون ما يستحقون من الله وملائكته والمؤمنين .

ويكفي حجة عليهم بذلك ، تمييزهم جميعاً بلباس عروسي ، محلي بكثير الفضة والذهب ، مما هو حرام بالاجماع ولا يحتمل التأويل ؛ وقد اقتبسوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القبايا والقلدسات المذهبة عند اقامة شعائرهم ، وفي احتفالاتهم الرسمية . وهذا الخطيب في بعض جوامع السلاطين ، يستوي على المنبر ويقول : اتقوا الله ، وعلى رأسه وصدرة ومنكبيه هذا اللباس

المنكر، (مرعى) .

وهؤلاء قضاة القسطنطينية على عهدنا ، اكثرهم لا يعرضون
لخضرة السلطان المعظم نصب خطيب لاقامة الجمعة ، ولا ينصبون
وصيا على ابله ، او مختل العقل ، او مسرف فاسد التدبير ؛ ولا يعزلون
متوليا او وصيا لحياة في مال الوقف او اليتيم ؛ ولا يقضون في مسألة
خلع زوجة ، ولا يسمعون بينة تواتر ؛ الى غير ذلك من قضايا واحكام
شرعية كثيرة لا يجوز شرعا ولا ادارة اهمالها ، ولا حجة لهم في
ارتكاب اثم تعطيلها غير مجارة الاوهام .

ثم ان هؤلاء المتعممين ما كفاهم هذا القانون ، فالحقوه بقانون
آخر سموه قانون (توجيه الجهات) ؛ جعلوا فيه التدريس والارشاد
والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية ، كالعروض ، تباع
وتشترى ، وتوهب وتورث ، وما ينحل منها نادراً عن غير وارث ،
يبعها القضاة لمن يريدون ؛ ويتكرمون بها على المتعلقين ؛ وبهذا
القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمنافقين .

ثم لما وضع قانون (تشكيل الولايات) ، لم يرض المتعممون حتى
جعلوا فيه قاضي المسلمين ، وكذلك مفتي المؤمنين في كل بلد ،
عضوين في مجلس الادارة ، يحكان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع

كالربا والضريبة على الخمر، والرسوم العرفية، وغيرها مما كان
اللائق والانسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بعين عنه . كما ان
القسيس بل الشمس لا يحضر مجلسا يعقد فيه زواج او تفريق مدنيان،
ولا يشهد في صك دين داخله ربا، فضلا عن ان يقضي او يمضي
بصفة رسمية كهنوتية، أمثال ذلك من الاعمال التي تصادم دين
النصرانية .

ثم لما وضع (قانون المدلية)، تهافت المتعممون على جعل قاضي
المسامين رئيسا للمحكمة النظامية، التي تحكم بمالم ينزل الله وبما
يتبرأ الدين الحنيف منه، من نحو: ربا صريح، ومن ابطال حدود الله
التي صرح بها القرآن كلياً او باستبدالها بعقوبات سياسية، او
بتغريمات مالية؛ ومن نحو: معاقبة العباد بمجرد الظن، والرأي،
وشهادة الواحد، وشهادة الفاسق، وشهادة العاهرة المجاهرة، مما
لا يلائم الشرع قطعياً . ومن نحو: تنفيذ كل حكم عرفي، حق او
باطل، بدون نظرفيه . ومن تحصيل ضرائب وغرامات . ومن
توقيف الاحكام الشرعية على استيفاء الرسوم من الاخصام واموال
الايام .

ومن أم دسائس المتعممين، انهم ينفثون في صدور الامراء

لزوم الاستمرار على الاستقلال في الرأي ، وان كان مضرا،ومعاداة الشورى وان كانت سنة ، والمحافظة على الحالة الجارية ، وان كانت سيئة . ويلقون عليهم بان مشاركة الامة في تدبير شؤونها ، واطلاق حرية الانتقاد لها ، يخل بنفوذ الامراء ، ويخالف السياسة الشرعية؛ ويلقونهم حججا واهنة ، لولا ان امامها جهل الامة ، ووراءها سطوة الامة ، لما تحركت بها شفتان ، ولا تردد في ردها انسان .

والامر الامر ان اولئك الامراء يقتبسون من هذه الحجج ، ما يتسلحون به في مقابلة من يعترض على سياستهم من الدول الاجنبية ، بقولهم : ان قواعد الدين الاسلامي لاتلائم اصول الشورى ، ولا تقبل النظام والترقيات المدنية، وانهم مغلوبون على امرهم، ومضطرون لرعاية دين رعاياهم ، ومجاراة ميل الفكر العام .

ولنرجع لبحث العلماء الرسميين ، فنقول : بهذه القوانين عند العثمانيين ، وباشباهاها عند اكثر حكومات المسلمين ، ضل المتعممون وصاروا اضر على الدين من الشياطين .

وبهذه القوانين استأثر الجهلاء الفاسقون بمزايا العلماء العاملين ، واغتصبوا ارزاقهم من بيت المال ومن اوقاف الاسلاف؛ فبالضرورة

قلت الرغبات في تحصيل العلوم ، وثبتت المهتم ، وصار طالب العلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ، ويشغل بالاحتراف للارتزاق؛ وهكذا فسد العلم ، وقل أهله ، فاختلف التربية الدينية في الامة ، فوقعت في الفتور وعمت فيها الشرور .

أجاب الرياضي الكروي : ان هذا الداء خاص ببعض الامم الاسلامية ، فلا يصلح سببا للفتور العام الذي نبحت فيه ، وتساءل عنه ؛ وعندني ان السبب العام ، هو ان علماءنا كانوا اقتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات ، واهملوا باقي العلوم الرياضية والطبيعية ، التي كانت اذ ذاك ليست بذات بال ولا تفيد سوى الجمال والكمال ، ففقد أهلها من بين المسامين ، واندرست كتبها ، وانقطعت علاقتها ، فصارت منقورا منها ، على حكم : (المرء عدو ما جهل) ؛ بل صار المتطلع اليها منهم يُفسق ويُرمى بالزيف والزندقة ، على حين اخذت هذه العلوم تنمو في الغرب ؛ وعلى كثر القرون ، ترقى وظهر لها ثمرات عظيمة في كافة الشئون المادية والادبية ، حتى صارت كالشمس ، لاحياة لذي حياة الابنورها ؛ فاصبح المسلمون مع شامع بعدم عنها محتاجين اليها لمجاراته جيرانهم ، احتياجا يعم الجزيات والكليات : من تربية الطفل الى سياسة الممالك ، ومن استنبات الارض الى استمطار

السماء، ومن عمل الابرة والقوارير الى عمل المدافع والبوارج، ومن استخدام اليد والحمار الى استخدام البرق والبخار .
 ولاشك ان المسلمين اصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة، يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكمة فوئد عظيمة جدا، بالنظر الى كشفها بعض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة المنطوية فيه ، مما كان مستورا الى الآن، وقد خبط فيه المفسرون خبط عشواء ، كظهور حياة الجمادات بماء التبلور ^(١)؛ وكازدواج النباتات عامة ^(٢)؛ و كقبول الارض الانتقاص وانشقاق القمر منها ^(٣)؛ و كافتراق الارض من السماء ^(٤)؛ و كحدوث الجدرى الذي نشأ في اصحاب الفيل بالمكروب ^(٥)، و كظهور سلسلة خلق الحيوان من تراب

(١) (وجعلنا من الماء كل شيء حي) .

(٢) (سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم) ،

(فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى) ، (وأنبئت من كل زوج بهيج)
 (من كل الثمرات جعل فيها زوجين) .

(٣) (أفلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها) .

(٤) (اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا

ففتقناهما) .

(٥) (وأرسل عليهم طيرا أبابيل) اي متتابعة مجتمعة، (ترميهم بحجارة

من سجيل) ، اي من الطين الذي يتماسك على سطح المستنقعات .

وطين وصلصال ، بقاعدة الترقى التي اثبتها العلامة دارون^(١) ؛
 وكظهور صفة الحركة الدائمة من الشخوص والهبوط المستمرين في
 الكائنات كلها^(٢) ؛ وكظهور سر ضبط المقادير في التركيبات
 الكيماوية^(٣) ؛ وكظهور انقسام طبقات الارض الى سبعة على الرأي
 الاصح ؛ وكظهور ان السماء فضاء بالاجماع ؛ وبذلك تندفع مشكلة
 قبولها الفتق والرتق ؛ وكظهور امتلاء الكون بالاثير وأنه أصل
 مادة الكائنات^(٤) ؛ وكالاخبار عن المركوبات البرية البخارية
 والكهربائية^(٥) وغير ذلك من الحقائق التي كشفها العلم اخيراً ،
 واعظم بها من براهين قطعية على اعجاز القرآن ، وتجدد اعجازه
 ما كره الجديدان . بل اضحى المسلمون محتاجين للحكمة العقلية ، التي
 كادت تجعل الغريبين أدري منا حتى في مباني ديننا ؛ كاستدلالهم

(١) (ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين)

(٢) (وكل في فلك يسبحون) ، (كل) راجع لما ذكر من عند : (وآية لهم الارض) لاختصاص بالشمس والقمر .

(٣) (وكل شيء عنده بمقدار) .

(٤) (ثم استوى الى السماء وهي دخان) .

(٥) (وآية لهم انا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون ، وخلقنا لهم من مثله ما يركبون) .

بالمقايسة على ان نبينا ، عليه افضل الصلاة والسلام ، افضل العالمين
عقلا و اخلاقا ؛ و كتاباتهم بالمقابلة ان ديننا اسمى الديانات حكمة و مزينة .
وعندي انه لو لا هذا القصور ما وقع المسامون في هذا الفتور ؛
والامل بعناية الله انهم بعد زمان قصير او طويل ، لا بد ان يفتقروا
لهذه العلوم النافعة ، فيستعيدوا نشأتهم ، بل يجلبوا الى دينهم العالم
التمدن ، لان نور المعارف ، على قدر ابعاده العقلاء عن النصرانية
و أمثالها ، يقربهم من الاسلامية لان الدين المملوء بالخرافات والعقل
المتور لا يجتمعان في دماغ واحد (مرعى) .

ثم ان تبعة هذا التقصير ، وان كانت لمحق علماء الامة المتقدمين ،
الا ان علماءنا المتأخرين اكثر قصورا ؛ لانهم في زمان ظهرت فيه
فوائد هذه العلوم ، ولم يحصل فيهم ميل لاقتباسها ؛ بل تراهم مقتصرين
على تدريس اللغة والفقه فقط ، او بعلاوة شيء من المنطق آماما
للعقائد ، وشيء من الحساب الكمالا للفرائض والمواريث قلما يفيد .

وكذلك نرى وعاظنا مقتصرين على البحث في النوافل
والقربات المزيدة في الدين ، ورواية الحكايات الاسرائيليات ؛ ومثلهم
المرشدون اهل الطرائق ، مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد ،
من صحيح وموضوع ، ورواية كرامات الانجباب والتقباء والابدال ،

وعلى ضبط وزن التمايل وأصول الانشاد؛ ولا تنسى خطباءنا و اقتصارهم
على تكرار عبارات في النعت ، والدعاء للغزاة والمجاهدين ، وتعداد
فضائل العبادات .

والحاصل أن تقصيرات العلماء الاقدمين، واقتصارات المتأخرين،
وتباعد المساميين الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية ، جعلتهم احط
بكثير عن الامم . ولا شك انه اذا تمادى تباعدهم هذا خمسين عاما
اخرى ، تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم كبعدها ما بين الانسان
وباقى انواع الحيوان . فبناء عليه ، يكون ناموس الارتقاء هو المسبب
لهذا الفتور ، كما قال تعالى : (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين
لا يعلمون) .

فاجابه الطامل اوسكندرري : ان هذا سبب من الاسباب ، ولا
يكفي وحده لحل الاشكال ، لان فقد العلوم الحكيمة والطبيعية
لا يصلح سببا لفقد الاحساس الملى والاخلاق العالية ، لانها توجد
في اعرق الامم جهالة . وانما سبب فتور حياتنا الادبية هو ياسنا
من المباراة ، وذلك اننا كنا علماء راشدين ، وكان جيراننا متأخرين
عنا ، فعرفنا البقاء فنمنا ، واجتهدوا فلحقونا ، ولبثنا نياما فاجتازوا
وسبقونا ، وتركونا وراء ؛ و طال نومنا ، فبعُد الشوط حتى صار

ما بعد وراثنا وراء ، فصغرت نفوسنا ، وقترت هممتنا ، وضعف احساسنا ، فيئسنا من اللحاق والمجاراة ؛ وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة وألستنا تفيض بقولنا : « سواء علينا اجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص . » ؛ فعدنا الى كهف النوم مستسلمين للقضاء ، نطلب الفرج بمجرد التمني والدعاء ، ذاهلين عن ان الله تعالى جلت حكمته ، رتب هذه الحياة الدنيا على أسباب ظاهرية ، ولم يشأن يجعلها كالأخرة عالم أقدار ؛ فهذا اليأس هو سبب الفتور ، فنسأل الله تعالى اللطف من المقذور .

اجابه العارف التاتاري : ان هذه شكاية حال ، ولا تفي بالجواب ؛ لانه ما السبب في هذا النوم الذي غشي المسلمين ، ولم يزل يعشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي انتبهت ، وسارت ، ولحقها ظعن الاحياء ، وما المسلمون الابعدين المنقطعين كأهل الصين ، ولا هم بالتوحشين العريقين كأهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عارضنا فقدنا السراة والهداة : فلا امير عام حازم مطالع ليسوق الامة طوعا او كرها الى الرشاد ؛ ولا حكيمٌ معترفٌ له بالزمية والاخلاص ، لتنقاد اليه الامراء والناس ؛ ولا تربية قومة المبادئ ، ينتج منها رأي عام لا يطرقة تحاذل وانقسام ؛

والجمعيات منتظمة تسعى بالخير وتتابع السير . ولذلك حل فينا
الفتور ، والى الله ترجع الامور .

أجابه الفقيه ابو فغاني : ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان
في الامم المنحطة الا اتفاقا ، اما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا
بسبب فقد الاحساس ، وهذا ما نتساءل عنه .

وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام ، لان
الفقر قائد كل شر ، ورائد كل نوح ؛ فمنه جهلنا ، ومنه فساد
اخلاقنا ، بل منه تشتت آرائنا حتى في ديننا ، ومنه فقد احساسنا ،
ومنه الى كل ما نحن فيه ، او نتوقع اننا سنوافيه .

فهذه فطرتنا ، لا تقص فيها عن غيرنا ؛ وعددنا كثير ، وبلادنا
متواصلة ، وأرضنا خصبة ، ومعادنا غنية ، وشرعنا قويم ، ونخارنا
قديم ؛ فلا يتقصنا عن الامم الحية غير القوة المالية ، التي اصبحت
لا تحصل الا بالعلوم والفنون العالية ، وهذه لا تحصل الا بالمال
الطائل ؛ فوقعنا في مشكل الدور ، وعسى ان نهتدي لفكه
سبيلا ، والا فيحيق بنا ناموس فناء الضعيف في القوي . وبيننا
الجاهل والعالم .

ومن اعظم اسباب فقر الامة : ان شريعتنا مبنية على ان في

أموال الاغنياء حقاً معلوما للبائس والمحروم ، فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء ؛ وهذه الحكومات الاسلامية ، قد قلبت الموضوع ، فصارت تجبي الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء ، وتحابي بها المرففين والسفهاء .

اجاب السفير الانكليزي : ان المسلمين من حيث مجموعهم اغنياء لا يعوزهم المال اللازم للتدرج في العلوم ، حتى للسياحات البحرية والقطبية ، لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية ، جاعلة لفقراء الامة وبعض المصاريف العمومية نصيبا غير قليل في مال الاغنياء ؛ بحيث اذا عاش المسلمون مسامين حقيقة آمنوا الفقر ، وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتنى ما هو من نوعها أغلب العالم المتمدن الافرنجي ، وهم لم يهتدوا بعد لطريقة نيلها ، مع انه تسعى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون ، وفنيان ، ونيهلست ، وسوسياالست) ، كلها تطلب التساوي او التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ؛ ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية دينا بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ، ولكن تعطيل ايتاء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه ، كما سبب اهمال الزكاة فقد الثمرات العظيمة

من معرفه المسلم ميزانية ثروته سنويا ، فيوفق نفقاته على نسبة ثروته ودخله ، ولا شك ان الواحد من الاربعين يكفي ان يُبذل لاجل هذه الثمرة وحدها .

والشريعة الاسلامية هي اول شريعة ساءت الناس والحكومات لاصول البودجة^(١) المؤسس عليه فن الاقتصاد المالي ، الافرادى والسياسي .

ويخيل لي ان سبب هذا الفتور ، الذي اخل حتى في الدين ، هو فقد الاجتماعات والمفاوضات ؛ وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج ؛ وترك خطبائهم ووعاظهم ، خوفا من اهتل السياسة ، التعرض للشئون العامة . كما ان علماءهم صاروا يسترون جنبهم بجعلهم يتحدث في الامور العمومية والخوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا ينبغي ، وان آتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز ، وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس او السعي بالفساد ؛ فسرى ذلك الى افراد الامة ، وصار كل شخص لا يهتم الا بخويصة نفسه وحفظ حياته

(١) من الكلمة الفرنسية Budget اي الميزانية (الناشر) .

في يومه ، كأنه خُلق أمة واحدة ؛ وسيموت غدا ، جاهلا ان له حقوقا على الجامعة الاسلامية والجامعة البشرية ، وان لها عليه مثلها ، ذاهلا عن انه مدني الطبع ، لا يعيش الا بالاشترك ، ناسيا او جاهلا او امر الكتاب والسنة له بذلك (مرهمي) .

ثم بتوالي القرون والبطون على هذه الحال ، تأصل في الامة فقدُ الاحساس ، الى درجة أنه لو خربت هذه الكعبة والعياذ بالله تعالى لما تقطبت الحياة أكثر من لحظة ، ولا أقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام ، كما ورد في الاثر ، لان المراد بولئك الناس اهل خزينة العرب اذ ذاك .

واذا دققنا النظر في حالة الامم الحية المعاصرة، وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماعات والمفاوضات ، نجدهم قد احتالوا للاجتماعات ولاسترعاء السمع والاستئلفات بوسائل شتى :

١ - منها تخصيصهم يوما في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة ، لتحصل بين الناس الاجتماعات، وتنعقد الندوات ، فيتباحثون ويتناجون .

٢ - ومنها تخصيصهم أياما ، يتفرغون فيها لتذاكر مهمات الاعمال لاعاظم رجالهم الماضين ، تشويقا للتمثيل بهم .

٣ - ومنها اعدادهم في مدنهم ساحات ومنتديات ، تسهيلا
للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات.

٤ - ومنها ايجادهم المنتزهات الزاهية العمومية ، واجراء
الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق
للاجتماعات .

٥ - ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكومبيريا)
و (التيارو) ، بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكيم
والوقائع ، ولو ضمن انواع من الخلاعة التي اتخذت
شبا كالمقاصد الجمع والاسماع ، ويمتبرون ان نفعها اكبر
من ضرر الخلاعة .

٦ - ومنها اعتناؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم
الملية ، المفصلة المدججة بالعلل والاسباب ، تمكينا لحب
الجنسية .

٧ - ومنها حرصهم على حفظ العاديات المنبهة ، وادخار
الآثار القديمة المنوهة ، واقتناء النفائس المشعرة
بالمفاخر .

٨ - ومنها اقامتهم النصب ، المفكّرة بما نصبت له من مهيات

الوقائع القديعة .

٩ - ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالبات الفكرية .

١٠- ومنها بشهم في الاغاني والنشائد الحكيم والحماسات ؛ الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية ، وتولد في الرؤوس حمية وحماسة ، وفي النفوس سمواً ونشاطا .

اما المسلمون فانهم كما سبق بيانه ، اهلوا استعمال تلك الوسائل الشريفة ، المؤسسة عندم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي ، اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج ؛ حتى كأن الشارع لم يقصد منها اداء الفريضة فقط بصورة تعبدية بسيطة ، والحال حكمة الشارع ابلغ من ذلك ، وعندني ان هذا اعظم اسباب الفتور (مرصى) .

فاجابه الرواسم الصيبي : ان هذا شبه بالعوارض منه بالاسباب ، فهو أليق بان يكون دواء للداء ، ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال : اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء ،

وميلهم للعلماء المتسلقين المنافقين ، الذين يتصاغرون لديهم ، ويتذللون لهم ، ويحرفون أحكام الدين ليوفقوها على أهوائهم ؛ فإذا يرجى من علماء يشترون بدينهم دنياهم ، ويقبلون يد الأمير لتقبل العامة أيديهم ، ويحقرون أنفسهم للعطاء ليتعاضوا على ألوف من الضعفاء ، اكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاشل ، لا يحسنون أمرا من الامور حتى ولا الخصومة ، قترام لا يترغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والعامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً ، لان كبر الامراء يمنعهم من الميل الى العلماء العاملين ، الذين فيهم نوع غلظة لا بد منها ، ولها هي مزينة لولاها لفقد الدين بالكلمة (مرعى) .

فلا شك ان في هذا الزمان ، أفضل الجهاد في الله الخط من قدر العلماء المنافقين عند العامة ، وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين ؛ حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء أقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم ، وأذعنوا لهم طوعا او كرها ؛ على انه يجب على حكام الامة المجاهدين في الله ان يمتنوا بالوسائل اللينة لتثقيف عقول العلماء العاملين ، لان العلم رافع للجهل فقط ، ولا يفيد عقلا ولا كياسة ؛ فيلزم تعليمهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين ، وهكذا

يفعل الحكاء عندنا معاشر اسلام الصين ، ولا تفقد أية بلدة كانت رجالا حكام نبلاء يمتازون طبيعاً على العامة ، لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكام هم الذين يُطلق عليهم في الاسلام اسم أهل الحل والعقد ، الذين لاتعقد شرعاً (الامامة) الا ببيعتهم ؛ وهم خواص الطبقة العليا في الامة ، الذين امر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر ، الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال ، لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة ، والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشرف في الحكومات المقيدة، ومقام الاسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسيا ؛ ومقام شيوخ الانخاد في ازاء أمراء العشائر العربية ، اولئك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ مايرمه الشيوخ

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن ، نجد ترقياً وانحطاطها تابعين لقوة او ضعف احتساب اهل الحل والعقد واشترآكهم في تدبير شؤون الامة .

واذا ارجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي ، نجد ان النبي عليه

السلام كان اطوع المخلوقات للشورى امثالاً لامر ربه في قوله تعالى:
(وشاورهم في الامر)، حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأي الامة .

ثم كان اول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى أنه اخذ
رأي سراة الصحابة فيمن خلّف؛ ثم الخليفة الثاني اتبع أثر الاول ،
وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخلفه؛ ثم الخليفة الثالث اجتهد
في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات ، فلم يستقم له الامر ،
وظهرت الفتن كما هو معلوم ؛ ثم معاوية رحمه الله كان قليل الاستقلال
بالرأي فحسنت أيامه عن قبل . وهكذا كانت دولة الامويين تحت
سيطرة اهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية ، فانتظمت على
عهدم الاحوال ، كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين ،
حيث كانوا مدعنين لسيطرة رؤساء بني هاشم ، ثم لما استبدوا في
الرأي والتدبير ، مخالفا امر الله واتباع طريقة رسول الله ، ساءت
الحال حتى فقد الملك .

هكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية
والحاضرة ، بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء ، بل في حال
كل ذي عائلة او كل انسان فرد، نجد الصلاح والفساد دائرين مع
سُنّة الاستشارة او الاستقلال في الرأي .

فاذا تقرر هذا ، علمنا أن سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء شيمة وتكبرا ، وترك أهل الحل والعقد والاحتساب جهلا وجبانة ؛ وهذا عند بعض الاقوام المسلمين كيران ، واما الأكثر فقد أمسوا لاعلماء هداة ولاسراة أباة ، بل هم فوضى في الدين والدنيا . ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذا الحال ، ان لا يرجى لهم دواء الا بعناية بعض الحكماء ، الذين ينجبون من أي طبقة كانت من الامة ، وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو امة من الحكماء .

فاجاب العالم النجدي : ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها ، وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبارة كما عند غيرهم ، فالحكماء في الصين آمنون ؛ ومن جهة اخرى لم يزل الاسلام في الصين حنيفاً خفيفاً ، لم يفسده التفنن والتشديد ، ومع ذلك نرى الفتور شاملهم ايضاً . ونحن الآن نبحث عن السبب العام لهذا الداء ، وليس كل السبب احوال الامراء والعلماء .

ثم قال أتى أجزم ، ولا أقول أظن او اخال ، ان سبب الفتور الطارئ الملائم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ، ولا

برهان أعظم من الملازمة ، وما جاء الخفاء الا من شدة الوضوح ؛
فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا، ولا سيما
ما بينه المحقق المدني ، في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ماندين
به لا بالنظر الى ماقرره ، وباعتبار ما نفعه لا باعتبار ما نقوله ، ليس
هو الدين الذي تميز به اسلافنا مئين من السنين على العالمين ، كلا
بل طرأت على الدين طوارىء تغيير غيرت نظامه .

وذلك ان الاخلاف تركوا أشياء من أحكامه : كاعداد القوة
بالعلم والمال ، والجهاد في الدين ، والامر بالمعروف ، وازالة المنكر ،
واقامة الحدود ، وإيتاء الزكاة ؛ وغير ذلك مما اوضحه الاخوان
الكرام ، وزاد فيه المتأخرون بدعا وتقليدات وخرافات ليست منه ،
كشيوخ عبادة القبور ، والتسليم لمدعي علم الغيب والتصرف
في المقدور .

وهذه الطوارىء من تغييرات او متروكات او مزيدات
اكثرها يتعلق باصول الدين ، وبعضها بأصل الاصول أعني التوحيد ،
وكفى بان يكون سبباً للفتور ، وقد قال الله تعالى : (ان الله لا يغير
ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) . (مرعى)

ولقائل ان يقول : اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه ، فما

تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شئون الحياة الدنيا ، وها نحن نجد أكثر الامم الحية التي نغبطها قد طرأ على دينها التبديل والتبديل في الاصول والفروع ، ولم يؤثر ذلك في الفتور ؛ بل زعم كثير من حكاء تلك الامم انهم ما أخذوا في الترقى الا بعد عزلهم شئون الدين عن شئون الحياة ، وجملهم الدين أمرا وجدانيا محضا لعلاقته بشؤون الحياة الجارية على نواميس الطبيعة .

فالجواب على ذلك بانه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس ، اي متبعا على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانونا ما ، موافقا ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها ، والا فيكون لاناموس له ، منفورا منه مضطهدا ؛ فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ، ملائم نوعا لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية ، والا فيكونون قوما متوحشين لاخلق لهم ولا نظام ، منفورا منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحشي لآخر فيه ، لان مبانيه هي تنازع البقاء ، وحفظ النوع ، والتزام على الاسهل ، والاعتماد على القوة ، وطلب الغايات ، وحب الرئاسة ،

وحرص الادخار، ومجاراة الظروف ، وعدم الثبات على حال ، الى غير ذلك . وكلها قواعد شر ومجالب ضر ، لا يلفظها غير ناموس شريف واحد ، مودوع في فطرة الانسان ، وهو : اذعانه الفكري للقوة الغالبة ، أي معرفة الله بالالهام الفطري ، الذي هو الهام النفس رشدها ، والهامها فجورها وتقواها (مرعى) .

ولاريب في ان لهذه الفطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته ، لانها اقوى وأفضل وازع يعدل سائر نواميسه المضرة ، ويخفف مرارة الحياة التي لايسلم منها ابن انثى ، وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة ، والانتقام منه وله (مرعى) .

وعند تدقيق حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً ، توجد كلها ناشئة عن أصل صحيح بسيط سماوي ، لا ترى فيه عوجاً ولا أمثا ، يوجد ان كل دين كان في اوليته باثنا في أهله النظام والنشاط ، وراقياً بهم الى اوج السعادة في الحياة ، الى ان يطرأ عليه التأويل والتحريف والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصليين اثنين : (الاشراك بالله ، والتشديد في الدين) . فيأخذ في الانحطاط بالامة ، ولم يزل نازلاً بها الى ان تبلغ حالة أقبح من الحالة الاصلية الهمجية ، فتنتهي

بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى .

أو يتدارك الله تلك الالة بعناية بالغة ، فيبعث لهم رسولا
يجدد دينهم ، أو يخلق فيهم انبياء أو حكماء يصلحون لهم ما فسد من
دينهم ، كما حصل ذلك في الامم الماضية : كعاد وثمود ، وكالسيان
واسرائيل وكنعان واسماعيل ، وكما قال الله تعالى : (وما كان الله
ليضل قوما بعد اذ هدهم حتى يبين لهم ما يتقون) .

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنها امران طبيعيان
في الانسان ، يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان ؛
لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى
عبادة المعقول الغائب ، ومفطورة على التشديد رغبة في التميز ؛
والشيطان يسعف النفس بالتسويل والتأويل ، والتحويل والتضليل ،
الى ان يفسد الدين (مرصم) .

ثم اذا دققنا حالة الاسلامية في القرون الخالية ، نجدها عند
اكثر أهل القبلة قد اصابها بعض ما اصاب قبلها غيرهما من الاديان ؛
كما اخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ، ووعدنا
بوقوعنا فيه سيد المرسلين ، وأرشدنا الى طرائق التخلص منه
ان كنا راشرين .

أعني بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحريف في بعض أصولها وكثير من فروعها ، حتى استولى عليها التشديد والتشويش ، وتطرق لها الشرك الخفي والجلي من يمينها وشمالها ، فأمست محتاجة الى التجديد بتفريق الغبي من الرشد ، وعندى أن هذه الحال أعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه ، قال الله تعالى : (ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا) . (مرعى) . وأنتم ايها السادة الافاضل ، في غناء عن ايضاح ذلك لكم بوجه التفصيل .

قال الاستاذ الربيسى : انى ارى ان البحث في اعراض الداء وأسبابه وجرائمه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج أو كاد ؛ وقد قررنا في اجتماعنا الاول أننا سنبحث في : ماهي الاسلامية ؛ وما يتبع ذلك مما ادرجناه في برنامج المباحث ، وانى ارى ان تقرير اخينا العالم النجدي نعم المدخل لنقل البحث ، ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما أجمله ؛ لان مسائل منشأ الديانات ، وسنن الله في مسراها ، واسباب طوارى التغيير والتحريف عليها ، كلها مسائل مهمة تقتضى تدقيق النظر واستقصاء التحقيق ، ويحسن فيها الاطالة والاستيعاب . بناء عليه ، نرجو من العالم النجدي ان يتكرم باعادة ما قرره بصورة مفصلة في اجتماعنا الآتى ، اذ اليوم قد اذن لنا الوقت بالانصراف .

الاجتماع الرابع

يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

انتظمت الجمعية في اليوم المذكور صباحاً ، وُقِرَّ الضبط السابق حسب العادة ، وأذن الامتاذ الرئيس بالشروع في البحث .
فقال العالم النجدي : اني استسمح السادة الاخوان عن إملالهم بمقدمات وتعريفات هم اعلم مني بها ، بل هي عندهم في رتبة البديهيات ، ولكن لا بد منها للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي ، فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبية عاقلة ، لاتكيف ، تصرف في الكائنات على نوايس منتظمة ، فالعامة يعبرون عن هذه القوة بلفظ (الطبيعة) ؛ والراشدون من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها ، يعبرون عنه بلفظ (القم) . ثم ان هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً ، حسب ضعف النفس

وقوتها؛ ويختلف الناس في تصوّر وتوصيف ماهية هذه القوة حسب مراتب الادراك فيهم، أو حسبما يصادفهم من التلقي عن غيرهم، وذلك هو (الضلال والرهابة). على ان الضلال غالب لان موازين العقول البشرية مهما كانت واسعة قوية، لاتسع وتحمل وزن جبال الازلية والابدية، والامثال، والازمان، والامكان، ونحو ذلك، مما لصعوبته تُسمى العلم به علم ما وراء العقل؛ ولهذا لا يقال في حق الضالين انهم منحطون عقلا عن المهتدين، بل كثير منهم، في الماضين والحاضرين، أسمى عقلا بمراتب كبيرة من المهتدين، ولكن صعوبة التصور والحكم أوقعتهم في بحار من الاوهام وظلمات من الضلال، على ان البارئ تعالى قدر اللطف ببعض عبادہ، واراد اقامة الحجّة على الاخرين، فوجد بعض افراد من البشر يُميزون في تصور توصيف ماهية هذه القوة تميزا كبيرا، فصاروا هداة للناس وهم (الانبياء) عليهم الصلاة والسلام.

ثم بعض الانبياء الكرام قاموا فيمن حولهم من الناس مقام المشرعين؛ واشتوا، ببراهين خرق العادات على يدهم عند التحدي اي عند طلب ذلك منهم، ان مخاطبتهم مكلفون من قبل الله تعالى باتباعهم وهم (المرسلون)، فأمن بهم من آمن، أي شهدوا لهم

بالرسالة واتبعهم في هديهم مستسلمين، فأخرجوهم من بحار الاوهام الى ساحل الحكمة، ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية، وهوؤلاء (المؤنونه)، فهذه مقدمة أولى (مرمى).

ومن المؤمنين: نحن معاشر (المسلمين)؛ علمنا، بما علمنا، ان محمداً بن عبد الله الهاشمي القرشي العربي أجلّ البشر حكمة وفضيلة، وصدقناه بانه رسول الله للعالمين كافة، مصححاً ملة ابراهيم، داعياً لعبادة الله وحده، هادياً الى ما يكلف الله له عباده من أمر ونهي كافلين لكل خير في الحياة وبعد المات.

ومن أمهات قواعد ديننا، ان نعتقد: ان محمداً عليه السلام بلغ رسالته، لم يترك ولم يكتم منها شيئاً، وأنه اتم وظيفته بما جاء به من كتاب الله، وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل التشريع إكمالاً لدين الله.

ومن أهم قواعد ديننا ايضاً: أنه محذور علينا ان نزيد على ما بلغنا اياه رسول الله أو ننقص منه أو نتصرف فيه بقولنا، بل متحتم علينا ان نتبع ما جاء به الصريح الحكيم من القرآن، والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره، وما اجمع عليه الصحابة، ان ادركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها، وأن تترك

ما يتشابه عينا من القرآن فنقول فيه : (آمنا به ، كل من عند ربنا ، وما يعلم تأويله الا الله) .

ومن قواعد ديننا كذلك : ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحيوية ، نتصرف فيها كما نشاء ، مع رعاية القواعد العمومية التي شرعها او نذب اليها الرسول ، وتقتضيها الحكمة او الفضيلة ، كعدم الاضرار بالنفس او الغير ، والرفقة على الضيف ، والسعي وراء العلم النافع ، والكسب بتبادل الاعمال ، والاعتدال في الامور ، والانصاف في المعاملات ، والعدل في الحكم ، والوفاء بالعهد ، الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية .

ويتفرع عن هاتين المقدمتين بعض مسائل مهمة ، ينبغي ايضا افرادها في البحث تباعاً واشباعاً .

منها ان أصل الايمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم ، فلا يحتاجون فيه الى الرسل ، وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه .

وهؤلاء قوم نوح ، وقوم ابراهيم ، وجاهلية العرب ، واليهود

والنصارى، ومجوس فارس، ووثنيو الهند والصين، ومتوحشو
افريقيا وأميركا وسائر البشر، كلهم كانوا ولا زالوا اهل فطرة دينية
يعرفون الله، وليس فيهم من ينكره كليا كما قال عز من قائل:
(وان من شيء الا يسبح بحمده). ويل البشر، يغلب عليهم الاشرار
بالله، فيخصصونه تعالى شأنه بتدبير الامور الكلية والشؤون
العظام كالخالقية وتقسيم الارزاق والآجال، كأنهم يجالونه عن
تدبير الامور الجزئية، ويتوهمون ان تحت أمره مقربين واعوانا
ووسائط من ملائكة وجن وارواح، وبشر وحيوانات، وشجر
وحجر؛ وأنه جعل لهم وللنواميس الكونية من افلاك وطبائع،
وللحالات النفسية من سحر وتوجه فكر، دخلا وتأثيرا في تدبير
الامور الجزئية ايقاعا ومنعاً، واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم النيب.
وتوهمهم هذا ناشى عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت
على ادارة الملوك في اختصاصهم بتدبير مهات الامور، وتفويضهم
مادون ذلك للعمال والاعوان، واستعانتهم بالاختصاص والخدام،
وربطهم مجرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرهمي).

ومن تتبع تواريخ الامم الغابرة وافكار الامم الحاضرة،
لايستريب فيما قرناه من ان آفة البشر الشرك الذي اوضحناه

فقط ، وكنى بالقرآن برهاناً ، فقد قال الله تعالى: (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله). وقال تعالى : (بل اياه تدعون) وقال تعالى: (فلا تدعوا مع الله احداً). وقال تعالى: (من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه) . الى غير ذلك من الآيات البينات المثبتة أن زيغ البشر هو الاشرار من بعض الوجوه فقط ، لا الانكار ولا الاشرار المطلق ، لان العقل البشري مهبط تسفل لا ينزل درجة الشرك المطلق .

بناء عليه جرت مادة الله تعالى جلت حكمته ان يبعث الرسل ، ينقذون الناس من ضلالة الشرك ، وينتشلونهم من وهدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ، ويهدونهم الى رأس الحكمة اي (معرفة الله) حق معرفته لكي يعبده وحده ، وبذلك تتم حجته عليهم ، ويملكون حريتهم التي تحميهم من ان يكونوا ارقاءً أذلاء لالف شئ من ارواح واجسام وأوهام، فثمررة الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الاسارة ، وثمررة الاذعان بأن (محمداً رسول الله) اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم وبين نزوعه الى الشرك ، وتنبئه سعادة الدارين .

ثم ان الانسان ، قتل ما اكفره وقبح ما اجهله ، لايهتدي

الى التوحيد الابجد عظيم ، ويندفع او يتقاد بشعرة الى الشرك ،
فيتلبس به على مراتب ودرجات في اعتقاد وجود قوة قدسية ترجى
ومتقى في غير الله ، أو تبعاً لله ، ذاهلاً عن أنه لو كان في الارض أو في
السماء آلهة غير الله ، أي اصحاب قوة تصرف في شيء ولو في تحريك
ذرة رمل ، لفسدنا .

فالناس سريعو الاعراض عن ذكر الله ، الى ذكر من
يتوهمون فيهم انهم شركاء وأنداد الله ، فيعبدونهم ، أي يعظمونهم ،
ويخضعون لهم ، ويدعونهم ، ويستمدون منهم ، ويرفعون حاجاتهم
اليهم ، ويرجون عند ذكر اسمائهم الخير ، ويتوقعون من سخطهم
الشر ، وقد قال الله تعالى : (ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة
ضنكا) ، والله صادق الوعد نافذ الحكم . وفي الواقع ، وبالضرورة
والطبع ، لامعيشة أشد ضنكا من معيشة المشركين الذين وصفهم
الله عز وجل بانهم لا أنفسهم ظالمون ، فقال : (ان الشرك لظلم عظيم) ،
وقال : (ولا يظلم ربك احداً) . وهذا زيد بن عمرو بن نفيل ، الحكيم
الجاهلي ، ضجر من الشرك فقال من آيات له :

أربا واحداً أم الف رب أدين اذا تقسمت الامور
تركت اللات والعزى جميعاً كذلك يفعل الرجل الخبير
ومثل الحياة الادبية في الموحدين والمشركين : كبلد سلطانه

حكيم قاهر ، بابه مفتوح لكل مراجع ، وينفذ قانوناً واحداً ، ولا يصغي لساع ولا لشفيع ، ولا يشاركه في حكمه أحد . وبلد آخر سلطانه جبان مغلوب على امره ، نال منه متقربوه المتعاكسون وأعوانه المتشاكسون مراتب من الكرامة ونفوذ الكلمة عنده ، وحرزوا سلطة استقضائه ما يشاءون من حوائج خير لنديهم ، أودفع شر عن أتباعهم ، فهل يستوي اهل البلدين ؟ كلا ، لا تستوي السعادة والشقاء ، والله المثل الاعلى فانه جلت عظمته لا يرضى ان يشاركه في ملكه احد ، كما قال تعالى : (ان الله لا يفرق ان يُشرك به ، ويفرق ما دون ذلك لمن يشاء ؛ ومن يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً) . ولا شك أن الشرك من اكبر الفجور وعمل السوء ، وقد قال تعالى : (ان الفجار لفي جحيم) . وقال تعالى : (ومن يعمل سوءاً يجز به) . وما الجحيم والمجازاة خاصان بالآخرة بل يشملان الحياة الدنيا والآخرة .

ثم اقول : فاذا اراد المسلم ان يعلم ماهو الشرك المشؤوم عند الله ، بمقتضى ما عرفه اياه في كتابه المبين ، يلزم ان يعرف ماهو مدلول الفاظ : (إيمان ، واسلام ، وعبادة ، وتوحيد ، وشرك) في اللغة العربية التي هي لغة القرآن ، حيث قال تعالى : (انا جعلناه

قرآنا عربياً ، وقال تعالى : (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه
ليبين لهم ، فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) . فاذا علم المسلم
معنى هذه الالفاظ ، وأراد ان يمثل أمر ربه بأن لا يتعدى حدود
الله ، يتعين حينئذ عنده ما هو مراد الله بالشرك الذي لا يرضاه ،
الذي اشفق وأخاف علينا نديننا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه
فقال : (ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك) .

ومن يبحث عما ذكر من الالفاظ، يجد ان اهل اللغة مجمعون
على ان المدلول للفظ (الايمان) الطاعة والتسليم بدون اعتراض ،
واللفظة (العبادة) التذلل والخضوع ؛ واللفظة (التوحيد) العلم بان
الشيء واحد ، ومضافة الى الله نفي الانداد والاشباه عنه . ومن هذه
المادة الواحد والاحد ، صفتان لله ، معناه المنفرد الذي لا نظير
له أو ليس معه غيره .

واصل معنى مادة الشرك لغة الخلط ، واستعمال اسم للاشراك بالله .
في اصطلاح المؤمنين الاشراك بالله في (ذاته) او (ملكه) او (صفاته) .
ثم اذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله تعالى بالشرك في كتابه
العزير على هذه الانواع الثلاثة ، نجد مظنة (الاشراك في الذات)
قائمة في اعتقاد الحلول ، وهو انه ، تعالى شأنه عما يصفون ، أفنى

او يفني بعض الاشخاص في ذاته ، كقول النصارى في عيسى
ومريم عليها السلام ، وقول علمائنا في وحدة الوجود ، وهذا النوع
من الشرك عسر التصور والتفريق حتى عند أساطين اهله ، ولذلك
يسميه النصارى حقيقة سرية ، ويسميه علمائنا حقيقة
ذوقية (مرمى) .

أما مظنات (الاشراك في الملك): فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص
بعض المخلوقين بتدبير بعض الشؤون الكونية ، كاعتقاد اليهود في
ملك الموت ، وكاعتقاد بعض الناس تصرف غير الله في شيء من
شؤون الكون ، كقول من يقول: فلان عليه درك البر أو البحر ،
أو الشام أو مصر .

وأما مظنات (الاشراك في الصفات) : فهي الاعتقاد في
مخلوق أنه متصف بشيء من صفات الكمال من المرتبة العليا ، التي
لا ينبغي الا لواجب الوجود جلت شؤونه .

وهذا النوع الثالث أكثر شيوعاً من النوعين الاولين
لثلاثة أسباب :

الاول : كون غير الاحدية والخالقية ، ونحوها من الصفات
الخاصة بالله تعالى ، صفات مشتركة يعسر على غير العلماء الراشدين

تميز الحد الفارق بين مراتبها في المخلوقين ، وبين مراتبها المختصة به تعالى .

الثاني : ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بعض الامور الى الملائكة ، واستجابة دعاء المقربين ، واكماله تعالى بعض عباده الصالحين ، ووعده بقبول شفاعته من يأذن لهم بها يوم القيامة ، فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف .

الثالث : هو كون التعظيم مدرجة طبيعية للاغراق والتغالي ، ومطية سريعة السير لا يتوي عنانها عن تجاوز الحدود الا برغم الطبع وتوفيق الله ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ألو العزم الشدائد في كبح جماح الناس عن اشراكهم مع الله في مرتبة بعض صفاته العليا ، وركبوا متون المصاعب والعزائم في رجاء الناس الى حد الاعتدال ؛ وشددوا النكير على اطراء الناس اياهم ؛ وحذروا وانذروا من مقاربة مظان الشرك ، حتى الخفي الذي يدب ديب النمل .

ومن المعلوم عندنا ان نبينا عليه افضل الصلاة والسلام لبث عشرة اعوام يقاسي الاهوال في دعوته الناس الى التوحيد فقط ، وسمى امته الموحدين ، وأنزل الله القرآن ربعه في التوحيد ؛ وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) ، وجعلت افضل الذكر

لحكمة ان المسلم مها رسخ في الايمان ، يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً ، وذلك لما قلنا من شدة ميل الانسان الى الشرك ، ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً ، فنسأل الله تعالى الحماية (مرصى) .

وما هذا خاص بالمسلمين، بل مضت الامم كلها، لم يكديفارقها رسلها الكرام الا ووقعت في الشرك، كقوم موسى عليه السلام فارقمهم اربعين ليلة فاتخذوا العجل (مرصى).

ثم اذا انقلبنا في البحث الى ما هو الشرك في نظر القرآن وأهله لتنتقيه ، نجد ان الله تعالى قال في حق اليهود والنصارى : (اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله) . مع انه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الاحبار والرهبان من ادعى المماثلة، ونازع الله الخالقية او الاحياء او الامامة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجي الشرك بالتأويل والايهام، بل الاحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط، فقالوا هذا حلال وهذا حرام ، فقبل منهم اتباعهم ذلك ، فوصفهم الله أنهم اتخذوا اربابا من دون الله .

ونجد أيضاً ان الله تعالى سمي قريشاً مشركين، مع انه وصفهم

بقوله : (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله)
أي يخصصون الخالقية بالله ، ووصف توسلهم بالاصنام الى الله بالعبادة
فحكى عنهم قولهم : (ما نعبدكم إلا ليقربونا الى الله زلفى) ؛ والمعظمة
من المسلمين يظنون ان هذه الدرجة التي هي التوسل ليست من
العبادة ولا من الشرك ؛ ويسمون المتوسل بهم وسائط ، ويقولون
انه لا بد من الواسطة بين العبد والرب ، وان الواسطة
لا تنكر .

ويعلم من ذلك ان مشركي قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ،
ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير ، بل اتخذوها قبلة يعظمونها
بندائها والسجود أمامها ، أو ذبح القرابين عندها ، أو النذر لها
على انها تماثيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة
عنده ، فيحبون هذه الاعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء
مريض او اغناء فقير وغير ذلك ، وإذا حلقوا بأسمائهم كذباً أو
أخلوا في احترام تماثيلهم يفضبون ، فيضرونهم في انفسهم
واولادهم واموالهم .

ونجد ان الله تعالى قال (فلا تدعوا مع الله احداً) ، واصل
معنى الدعاء النداء ، ودعا الله : ابتهل اليه بالسؤال واستعان به ،

والدليل الكاشف لهذا المعنى هو قوله تعالى : (بل إياه تدعون ، فيكشف ما تدعون) ؛ وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلّت كلمته : (اياك نعبد واياك نستعين).

وبما ذكر وغيره من الآيات البينات جعل الله هذه الاعمال لقريش شركا به حتى صرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله أنه شرك فقال : (من حلف بغير الله فقد اشرك) . وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبيح على الانصاب شركا، وحرّم تسييب السوائب والبحائر لما فيها من ذلك المعنى . وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بقصد زيارة محلات لاصنامهم ، يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقريبا من الاصنام ، فهمي النبي عليه الصلاة والسلام أمته على مثل ذلك فقال : (لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الاقصى) . بناء عليه لا ريب ان هذه الاعمال وأمثالها شرك ، او مدرجة للشرك (مرمى) .

فدُنظر الآن ، هل فشا في الاسلام شي من هذه الاعمال وأشباهاها في الصورة او الحكم ؛ ومن لاتأخذه في الله لومة لائم ، لا يرى بدأ من التصريح بأن حالة السواد الاعظم من أهل القبلة ،

في غير جزيرة العرب ، تشبه حالة المشركين من كل الوجوه ،
وان الدين عندهم عاد غريباً كما بدأ كشأن غيرهم من الامم .

فمنهم الذين استبدلوا الاصنام بالقبور ، فبنوا عليها المساجد
والمشاهد ، وأسرجوا لها ، وأرخوا عليها السطور ، يطوفون حولها
مقبلين مستلمين أركانها ، ويهتفون باسماء سكانها في الشدائد ، ويذبحون
عندها القرابين يُهبل بها عمداً لغير الله ، وينذرون لها النذور ،
ويشدون للحج إليها الرحال ، ويعلقون بسكانها الآمال ، يستنزلون
الرحمة بذكرهم وعند قبورهم ، ويرجونهم بالحاح وخضوع ومراقبة
وخشوع ان يتوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات ،
وكل ذلك من الحب والتعظيم لغير الله ، والخوف والرجاء
من سواه .

ومنهم من استعوضوا ألواح التماثيل عند النصارى والمشركين
بالواح فيها اسماء معظيهم ، مصدره بالنداء تبركا وذكرا ودعاء ،
يعلقونها على الجدران في بيوتهم ، بل في مساجدهم ايضاً^(١) ويتوجون
بها الاعلام من نحو : يا علي ، يا شاذلي ، يا دسوقي ، يا رفاعي
يا بهاء الدين النقشي ، يا جلال الدين الرومي ، يا بكتاش ولي .

(١) كجوامع القسطنطينية وبلاد الاتراك

ومنهم ناس يجتمعون لاجل العبادة بذكر الله ، ذكراً مشوباً
 بانشاد المدائح والمغالات لشعراء المأخرين، التي اهون ما فيها لاطراء
 الذي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام حتى لنفسه الشريفة فقال:
 (لاتطروني كما اطرت اليهود والنصارى انبياءهم). وبانشاد مقامات
 شيوعية ، تغالوا فيها بالاستغائة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ
 لو سمعها مشركو قريش لكفروهم ، لان البغ صيغة تلبية كانت
 لمشركي قريش قولهم: (لييك اللهم لييك، لاشريك لك غير شريك
 واحد ، تملكه وما ملك) ، وهذه اخف شركا من المقامات الشيوعية
 التي يهدرون بها انشاداً بأصوات عالية مجتمعة، وقلوب محترقة خاشعة
 كقولهم :

ياذا الفضل والاحسان
 من احسانك لاتنساني

عبدالقادر يا كيلاني
 صرت في خطب شديد

وقولهم :

أنا المحسوب انا المنسوب
 انا المحسوب انا المنسوب

اللهم يارفاعي ابي
 رفاعي لاتضيعني

الى نحو ذلك مما لايشك فيه شك أنه من صريح الاشرار
 الذي ياباه الدين الحنيف .

ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع المبين ، فابتدعوا أحكاما في الدين سموها علم الباطن ، أو علم الحقيقة ، أو علم التصوف . علما لم يعرف شيئا منه الصحابة والتابعون وأهل القرون لاولى المشهود لهم بالفضل في الدين . علما نزعوا مسائله من تأويلات المتشابه من القرآن ، مع ان الله تعالى امرنا ان نقول في المتشابه منه (آمننا به ، كل من عند ربنا) ، وقال تعالى : (وما يعلم تأويله الا الله) ، وقال عز شأنه في حقهم : (واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) . وقال تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) . وقال تعالى : (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى : (فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة) .

وانزع هؤلاء المداجون أيضا بعض تلك المزيادات من مشكلات الاحاديث والآثار ، ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول على سبيل الحكاية ، او عمل على سبيل العادة ، اي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . او من الاحاديث التي وضعها أساطينهم اغرابا في الدين لاجل جذب القلوب ، كما ورد في الحديث ومعناه : (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأه المرأة والصبي والرجل ، فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم أتبع ، لا تقوم به

فيهم لعلّي أتبع ، فيقوم به فيهم فلا يتبع ؛ فيقول قد قرأت القرآن وقت به فلم أتبع ، لأحتظرن في بيتي مسجداً لعلّي أتبع ، فيحتظر في بيته مسجداً فلا يتبع ، فيقول قد قرأت القرآن وقت به واحتظرت في بيتي مسجداً فلم أتبع ، والله لا آتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعه عن رسول الله لعلّي أتبع .

ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ، ولا عهد له بها الى أواخر القرن الرابع ؛ فكان الله تعالى ترك لنا ديننا ناقصاً فهم أكملوه ، أو كأن الله جل شأنه لم ينزل يوم حجة الوداع : (اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام ديناً) .

أو كأن النبي عليه السلام لم يتمم كما يزعمون تبليغ رسالته ، فهم أتموها لنا ، أو كتّم شيئاً من الدين وأسر به الى بعض أصحابه وهم ابو بكر وعلي وبلال رضي الله عنهم ، وهؤلاء أسروا به الى غيرهم ؛ وهكذا تسلسل حتى وصل اليهم ، فافشوه لمن أرادوا من المؤمنين ، تعالى الله ورسوله عما يافكون . وهل ليس من الكفر باجماع الامة اعتقاد ان النبي عليه السلام نقص التبليغ ، أو كتّم أو أسر شيئاً من الدين (مرهق) .

ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعبا، فجعلوا منه التنقي
والرقص، ونقر الدفوف ودق الطبول، ولبس الاخضر والاحمر،
واللعب بالنار والسلاح والعقارب والحيات، يخذلون بذلك
البسطاء ويسترهبون الحقهاء .

ومنهم قوم يعتبرون البلادة سلاحا، والحمول خيرا، والخبيل
خشوعا، والصرع وصولا، والهديان عرفانا، والجنون منتهى
المراتب السبع للكمال .

ومنهم خلفاء كهنة العرب، يدعون علم الغيب بالاستخراج من
الجفر والزمل وأحكام النجوم، أو الروحاني الزايرجة، أو الابدانات،
أو بالنظر في الماء أو السماء والودع، أو باستخدام الجن والمردة؛ إلى
غير ذلك من صنائع التدليس والايهام والخزعبلات. وليس العجب
انتشار ذلك بين العامة الذين هم كالانعام في كل الامم والاقوام،
بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء،
كأنه من غريز الكمال في دين الاسلام (مرهمي).

افهذه حالات السواد الاعظم من الامة، وكلها اما شرك
صراح، او مظنات اشراك، حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك
بلا اشكال . وما جر الامة الى هذه الحالات الجاهلية، وبالتعبير

الأصح رجوع بها الى الشرك الاول ، الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه ، مع قلة علماء الدين ، وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد .

نعم ردُّ العامة عن ميلها امر غير هين ، وقد شبه النبي عليه السلام معاناته الناس فيه بقوله : (مثلي كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما اضاءت ماحولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها ، وجعل يحجزهن ويغلبهن ، فيقتحمن فيها ، فانا آخذ بحجزكم عن النار وانتم تقتحمون فيها) .

وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الارشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهونون : (ان الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا ، أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار) وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : (لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي : نهتهم علماءهم فلم ينتهوا ، فجالسوهم في مجالسهم ، وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ، ولمنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم ، ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) .

بناء عليه فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ، ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ، ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أنذرنا

به النبي عليه السلام في قوله : (ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً من
الناس ، ولكن يقبض العلماء ، حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء
جهلاء ، فثلثوا فأفقوا بغير علم فضلوا وأضلوا) ، ولا حول ولا قوة
الا بالله .

ثم قال : ولنتقل من بحث الشرك والاعراض عن ذكر الله الى
بيان أسباب التشديد في الدين ، وحالة التشويش الواقع فيه المسلمون
فأقول :

قد وجدنا علماء كان احدهم يطلع في الكتاب أو السنة على
امر أو نهي فيلتقاه على حسب فهمه ، ثم يعدي الحكم الى اجزاء
المأمور به أو المنهي عنه ، أو الى دواعيه ، أو الى ما يشاكله ولو من
بعض الوجوه ، وذلك رغبة منه في أن يلتمس لكل أمر حكماً شرعياً ،
فتختلط الامور في فكره ، وتشبه عليه الاحكام ، ولا سيما من
تعارض الروايات ، فيلتزم الاشدّ ويأخذ بالاحوط ويجعله شرعاً ،
ومنهم من توسع فصار يحمل كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام
على التشريع والحق ؛ كما سبق لنا ذكره ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية
أو العادة . ومنهم من تورع فصار لا يرى لزوماً لتحقيق معنى

الآية أو للتثبت في الحديث اذا كان الامر من فضائل الاعمال ،
فياخذ بالأحوط ، فيعمل به ، فيقع في التشديد ، ويظن الناس منه
ذلك ورعا وتقوى ومزيد علم واعتناء بالدين ، فيميلون الى تقليده ،
ويرجعون فتواه على غيره .

وهكذا بالتمادي عظم التشديد في الدين حتى صار اصراً
واغلالاً ، فكأننا لم نقبل ما من الله به علينا من التخفيف فوضع
عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف ، قال تعالى شأنه وجأت
حكمته : (وما جعل عليكم في الدين من حرج) . وقال مبشراً جلت
منته : (ويضع عنهم اصرهم والاعلال التي كانت عليهم) ، أي يخفف
عنهم التكاليف الثقيلة . وعلمنا كيف ندعوه بعد ان بين لنا
أنه : (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) فنقول : (رنا لا تؤاخذنا
ان نسينا او اخطأنا ، رنا ولا تحمل علينا اصراً كما حملته على الذين
من قبلنا) ؛ وأمرنا بقوله تعالى : (لا تغلوا في دينكم) .

وقد ورد في الحديث : (لن يشاد الدين أحد الا غلبه)
وفي حديث آخر : (هلك المنتطمون) أي المتشددون في الدين .
وظن بعض الصحابة ان ترك السحور أفضل بالنظر الى حكمته تشريع
الصيام ، فنهام النبي عليه السلام عن ظن الفضيلة في تركه . وقال

عمر، رضي الله عنه، في حضور رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن اراد أن يصل النافلة بالفرض (بهذا هلك من قبلكم)، فقال النبي عليه السلام: (أصاب الله بك يا ابن الخطاب).

وأنكر النبي عليه السلام على عبدالله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له: (أرغبت عن سنتي)؛ فقال: بل سنتك ابني، قال: (فاني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأنكح النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني). وقد كان عثمان بن مظعون وأصحابه عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاختصاص، وكانوا حرموا الفطر على انفسهم ظناً به قربته الى ربهم، ففهام الله عن ذلك لانه غلو في الدين واعتداء عما شرع فانزل: (يا أيها الذين آمنوا: لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم، ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)، أي انه لا يجب من اعتدى حدوده وما رسمه من اقتصاد في أمور الدين.

وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام: (والذي نفسي بيده، ما تركت شيئاً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به. وما تركت شيئاً يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه). فاذا كان الشارع يأمرنا بالتزام ما وضع لنا من

الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد ؟

وورد في حديث البخاري : (ان اعظم المسلمين جرماً من
سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته) ، وبمقتضى
هذا الحديث ما أحق بعض المحققين المتشددين بوصف
المجرمين ؟

وهذه مسألة السواك مثلاً ، فانه ورد عن النبي صلى الله عليه
وسلم فيها انه قال : (لولا أن اشق على أمتي لامرتهم بالسواك) .
فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد الندب ،
جعله الاكثر من سنة ، وخصه بعضهم بعود الارك ، وعمم بعضهم
الاصبع وغيرها بشرط عدم الادماء ؛ وفصل بعضهم أنه اذا قصر
عن شبر ، وقيل فتر ، كان مخالفاً للسنة . وتفنن آخرون بان من
السنة ان تكون فتحته مقدار نصف الابهام ولا يزيد عن غلظ أصبع ؛
وبين بعضهم كيفية استعماله فقال : يسند بباطن رأس الخنصر ،
ويعمسك باصابع الوسطى ، ويدعم بالابهام قائماً . وفصل بعضهم
أن يبدأ بادخاله مبلولاً في الشدق الايمن ، ثم يراوحه ثلاثاً ، ثم
يتقل ، وقيل يتمضمض ؛ ثم يراوحه ويتمضمض ثانية ، وهكذا
يفعل مرة ثالثة .

وبحث بعضهم في ان هذه المضمضة هل تكفي عن سنة المضمضة
في الوضوء أم لا؛ ومن قال لا تكفي احتج بنقصان الفرغرة؛ واختلفوا
في أوقات استعماله في اليوم مرة أو عند كل وضوء، أو عند تلاوة
القرآن أيضاً، حتى البعض صاروا يتبركون بعود الارك يخلون
به الفم يابساً. والبعض يعدون له كثيراً من الخواص، منها أنه اذا
وضع قائماً يركبه الشيطان؛ والبعض خالف فقال: بل اذا ألقى
يورث لمستعمله الجذام؛ وكثير من العامة يتوهم السواك بالأرك
من شعار دين الاسلام. الى غير هذا من مباحث التشديد
والتشويش المؤديين الى الترك، على عكس مراد الشارع
عليه السلام من النذب الى تعهد الفم بالتنظيف كيفما كان.

ثم قال العالم النجدي: هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع
وربما كان لي فيه سقطات، ولا سيما في نظر السادات الشافعية من
الاخوان كالعلامة المصري والرياضي الكردي؛ لان غالب العلماء
الشافعية محسنون الظن بعلامة الصوفية، ويلتمسون لهم الاعذار،
وهم لاشك أبصر بهم منا معاشر أهل الجزيرة، لفقدانهم بين اظهرنا
كلياً ولندرتهم في سواحلنا؛ ولولا سياحتي في بلاد مصر والغرب
والروم والشام لما عرفت اكثر ما ذكرت وأنكرت الا عن سماع،

ولكنك أقرب لتحسين الظن . ولكن ما بعد العيان لتحسين الظن
بحال ، وما بعد الهدى الا الضلال ، فنسأل الله تعالى ان يهمننا
سواء السبيل .

فأجاب العموم المصري : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبنا ،
ونحن معاشر الشافعية تناول لهم كثيراً مما ينكره ظاهر الشرع
ونلتمس له وجوها ولو ضعيفة ، لاننا نرى مؤسسي التصوف الاولين
كالجنيد وابن سبئين من أحسن المسلمين حالا وقولا .

وفيا يلوح لي أن منشأ ذلك فينا جملة أمور منها: كون علماء
الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الا عهداً قصيراً؛ ومنها
كون المذهب الشافعي مؤسساً على الاحوط والاكمل في العبادات
والمعاملات ، أي على العزائم دون الرخص ؛ ومنها كون المذهب
مبنياً على مزيد العناية في النيات .

بناء عليه ، فالشافعي في شغل شاغل بخوَيْصَة نفسه ، وهم
مستمر من جهة دينه ، ومحمول على تصحيح النيات وتحسين الظنون ،
ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين ،
وحمل أعمال المتظاهرين بالصالح على الصحة والاخلاص . بخلاف
العلماء الحنفية : فانهم من عهد ابي يوسف لم يتقطع تقابهم في النظر في

الشؤون العامة في عموم آسيا ، وكذا المالكية في الغرب وامارات
أفريقيا، والحنابلة والزيدية في الجزيرة . ومن لوازم السياسة الحزم،
وتغليب سوء الظن ، وأتقان النقد ، والاختذ بالجروح ، ومحاكمات
الشؤون لاجل العمل بالاسهل الانسب .

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بأنهم كانوا ولازالوا
بعيدين عن التوسع في العلوم والفنون ، وهم لم يزلوا أهل عصبية
وصلابة رأي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام فيهم : (ان
الشیطان قد آیس ان يعبدہ المسلمون في جزيرة العرب ولكن في
التحريش) أي إغراء بعضهم على بعض . وكذلك أهل الجزيرة ،
لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية ، فاذا قرؤوا القرآن
أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان ،
فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعا للاشكالات ، فلا
يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش .
وأما غيرهم من الأمم الاسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون
العناء في استخراج المعاني والمفاهيم ، ومن طبيعة كل كلام
في كل لغة اذا مخضته الازهان تعبت وتشتت فيه الافهام .
وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ، ولا سيما في علماء مصر

منهم ، ان انطباعهم على سهولة الانقياد سهلت أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ؛ ووداعة أخلاقهم تأبى عليهم إساءة الظن ما أمكن تحسينه ، فبناء عليه حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولا عند علماء الشافعية الاواين فتبهم الآخرون.

هذا وحيث قلنا ان من خالق المصريين سهولة الانقياد ولاسيما للحق ، وكذلك علماء الشافعية الاكراد كلهم أهل نظر وتحقيق ، فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما تتعلق منها بمظنات الشرك الجالب للمقت والضنك ، ولاشك أنهم يمثلون أوامر الله في قوله تعالى : (انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) . وقوله تعالى : (فان تنازعتم في شئ فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) . وقوله تعالى : (يا ايها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم) . وقوله تعالى : (اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء) . هذا وكثير من علماء الشافعية ، الاقدمين والمتأخرين ، المنتصرون للمذهب السلفي السديد المقاومون للبدع والتشديد ؛ والحق ان التصوف المتناهي فيه لا تصح نسبته لمذهب مخصوص

فهذا الشيخ الجليل رضي عنه حنبلي وصوفي .

قال ابن رجب : ان أخانا العالم النجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لا غبار عليه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال ، وكفى بما استشهد به من الآيات البينات براهين دامغة ، والله على عباده الحجة البالغة . وعبارة التردد التي ختم بها خطابه ، يترك بها الحكم لرأي الجمعية ، ماهي الا نزعة من فقد حرية الرأي والخطابة . فأرجوه وارجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهيبوا في الله لومة لائم ، ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل . وليعلموا ان رأد جمعيتنا هذه الاخلاص ، فالله كافل بنجاحها ، وغاية كل منا اعزاز كلمة الله والله ضامن اعزازه ، قال تعالى : (ان تنصروا الله ينصركم) .

نعم هذا النوع من الارشاد ، اعني الانتقاد على الاعتقاد ، هو شديد الوقع والصدع على التائبين في الوهلة الاولى ، لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد دون الاستدلال والتحقيق ، وجارية على التعاند دون التقانع . على ان اعضاء جمعيتنا هذه وكافة علماء الهداية في الامة ، يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر الباهر الذي لا يخفى على احد . فكل منهم محتلج في

فكره ما يخالج فكر الآخرين عينه أو شبهه، لكنه يتهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال امر المدلسين . ويخاف من الأفراد في الانتقاد في زمان فشا فيه الفساد وعم البلاد والعباد ،
وقل انصار الحق وكثر التخاذل بين الخلق .

ويسرني والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه، اعني اطمئنان كل منا على اصابة رأيه ، واطلاعه على ان له في الآفاق رفاقا يرون ما يراه ويسرون مسراه ، فيقوى بذلك جنانه وينطلق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ، ويصبح غير هياب لوم اللائمين ولا تحامل الجاهلين . ومن الحكمة استعمال اللين والتدرج والحزم والثبات في سياسة الارشاد ، كما جرى عليه الانبياء العظام عليهم الصلاة والسلام . وقد بسطت ذلك في اجتماعنا الاول ، وسنلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي نقره ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعاتنا الآتية ، اما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار .

الاجتماع الخامس

يوم الاعد الحادى والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الوقت المعين في اليوم المذكور تكامل الاجتماع واستعدت
الهيئة للمداولة والسماع ، وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة
حسب القاعدة المرعية .

قال الاستاذ الرئيس : سنبحث بعد يومين في وضع قانون
للجمعية الدائمة ، واني ارى ان نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم
دخول في جمعيات علمية ، أو الذين لهم وقوف على مباني الجمعيات
القانونية ولا سيما الغربية المعروفة باسم (اكاديميات) لتنظم لنا هذه
اللجنة سانحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية .

واني اكلف لهذه اللجنة أخانا السيد الفراي ليقوم بكتابتها ،
وأخانا السعيد الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الاكاديميات وعن
مجربات جمعيات ليفربول ورأس الرجاء ، واخواننا العلامة المصري

والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا رأسمهم لانه أسنهم^(١)،
وهؤلاء خمسة أعضاء، فهل تستصوب الجمعية ذلك وترى الكفاية
والكفاة ام تستدرك شيئاً .

ثم ابتدر السيد الانكليزي للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس
فقال : انا مسامي (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ، ولنا اشكالات
مهمة تتعلق ببحث اليوم اعني بطريقة الاستهداء من الكتاب والسنة،
لان اكثرنا قد اهدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين اليها من
(البروتستانتية) اي الطائفة الانجيلية لامن الكاثوليك اي الطائفة
التقليدية ، فنميل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نشق بقول غير
معصوم فيما ندين . وقد تركنا دين آباءنا وقومنا لننتبع دين محمد نبي
الاسلام عليه الصلاة والسلام ، لالنتبع الحنفي او الشافعي او الحنبلي
او المالكي وان كانوا ائمة ناقين .

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا، ونحن
راغبون ان نسعى سعيًا حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المبين .
والاقوام الذين ندعوهم غالبهم متمدنون اي افكارهم متتورة بالعلوم

(١) هو من ترك كاشغر لا من اترك الروم .

والمعارف ، واكبر املنا معقود بهداية فئتين اثنتين الاولى البروتستان
والثانية الزنادقة

اما املنا في البروتستان فلانهم منقلبون حديثا من الكاثوليكية ،
انقلابا ناشئا عن ترجيحهم الاقتصار على الانجيل ومجموعة الكتب
المقدسة متونا فقط ، اي باهمال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي
لا يوجد لها اصل صريح في الانجيل . والبروتستان في اوربا وأمريكا
يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم مفطورون على التدين ،
قليلو المناد في الاعتقاد ، مستعدون لقبول البحث والانقياد للحق
بشرط ظهوره ظهوراً عقليا ؛ ولا سيما اذا كان الحق ملائماً لاسباب
هجرهم الكاثوليكية من نحو: انكارهم الرياسة لدينية والرهبانية ،
والتوسل بالقدسين وطلب الشفاعة منهم ، واحترام الصور والتماثيل ،
والدعاء لاجل الاموات ، وبيع النفوس ، والقول بان للبطارقة قوة
قدسية وقوة تشريعية ، وان للبابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين ،
وان للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة ، الى غير
ذلك مما يتج في النصرانية سلطنة دينية وتشديدات تعبدية لا يوجد
لها اصل في الانجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف

باسم القرائين ، وهم الآخذون باصل التوراة والمزامير النايدون
للتلمود اي لتفسيرات ومزيادات الاحبار والحاخامين الاقدمين .
اما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كليا لعدم
ملاءمتها للعقل ، وهؤلاء في اوربا وامريكا كذلك يزيدون على مائة
مليون من النفوس ، غالبهم مستعدون لقبول ديانة تكون معقولة تحرة
سمحاء تريحهم من نصب الكفر في الحياة الحاضرة فضلا عن العذاب
في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق : ان افراد هذه الفئة كلما بمدواعن
النصرانية نفورا من شركها وخرافاتهما وتشديداتها ، يقربون طبعامن
التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها .

فبناء على هذه الآمال ترى جمعية (ليفربول) اهمية عظيمة
لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة ، وتصوير حكمة
وسماحة الدين الاسلامي للعالم المتمدن . فارجو حضرة الاستاذ الرئيس
ان يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاوره والمساجلة
مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم .

فاجابه الاستاذ الرئيس بقوله له : ساجل من شئت وخاطب
من اردت فالاخوان كلهم علماء افاضل حكاء .

فقال السعير الونكيزي مخاطبا العالم النجدي. انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمته العمل بالكتاب والسنة ، فأرجوك ان تعرفني اولاً ماهو الكتاب وماهي السنة .

فقال العالم النحوي : اما (الكتاب) فهو هذا القرآن الذي وصل الينا بطريق لا تحتمل الشبهة فيه لاجتماع الكلمة واتفاق الامة عليه ، وتناقلها اياه جيلا عن جيل ، وحفظا في الصدور ، وضبطا في السطور مع الحرص العظيم على كيفية ادائه لفظا وعلى هيئة املائه كتابة ، ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ، ومع حفظ اللغة العربية المضرية القرشية التي نزل بها باتقان لا يزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التحريف والتغيير وموجبات الريب الى الآن هو أحد وجوه اعجازه ، حيث جاء مصدقا لقوله تعالى فيه :
(انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) .

اما (السنة) فهي ماقاله الرسول عليه الصلاة والسلام او فعله او اقره ، ولم يكن صدر منه ذلك على -بيل الاختصاص او الحكاية او العادة ؛ وقد اعتنى الصحابة ولا سيما التابعون وتابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء ؛ وتناقلوها

بالرواية والسند المتسلسل متحرين الوثوق منتهى مراتب التحري
والتثبت؛ وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقا تاما وقبولا عاما في
الامة فوصاتنا بكال الضبط خصوصا منها الكتب الستة .

قال السيدي ابراهيم بن ابي بكر لا يشك احد حتى العدو والمعاد في انه
لم تبلغ ولن تبلغ امة من الامم شأو المسلمين في اعتنائهم بحفظ
القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي او السنة، وكذلك يقال في
اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر الى ذلك كان يجب ان نحرر الشريعة الاسلامية احسن
تحرير ، فلا يوجد فيها ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط اصولها
من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الائمة ، فارجو ان تبين
لي ما هو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الاحكام .

اجابه العالم النعري : ان الاختلافات الموجودة في الشريعة
ليست كما يُظن شاملة للاصول ، بل اصول الدين كلها والبعض
من الفروع متفق عليها لان لها في القرآن او السنة احكاما صريحة
قطعية الثبوت ، قطعية الدلالة ، او ثابتة باجماع الامة الذي لا يجوز
العقل فيه ان يكون عن غير اصل في الشرع .

اما الخلافات فانما هي في فروع تلك الاصول وفي بعض الاحكام

التي ليس لها في القرآن او السنة نصوص صريحة ، بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي تخالفوا فيها اما تلقياً من بعض الصحابة ، فكل قلد من صادف ؛ واما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب او السنة بالمدلول المحتمل ، او بالمفهوم او بالاقتضاء ، او من قرآن الحال او قرآن المقال ، او بالتوفيق او بالتحريج او التفرع او القياس ، او باتحاد العلة او باتحاد النتيجة او بالتأويل او الاستحسان . وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة ، او ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين اصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ، ومنشأ معظمها الخلافات النحوية والبيانية .

ثم ان اكثر الخلافات هي في مسائل المعاملات ، وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة ، بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضا اذا كان التخالف عن اجتهاد لاعن هوى نفس او تقصير في التتبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرعى) .

قال السعيد ارونكليزي : اني اشكر ك على ما اجملت واوضحت ، غير انك لم تذكر في جملة أسباب الاختلاف في اعتبار الناسخ

والممنسوخ بين آيتين او حديثين، أو آية وحديث، وأني اظن ان ذلك من اعظم اسباب الاختلاف في الاحكام .

اجابه العالم النجدي: ان نواسخ الاحكام قليلة ومعلومة، واختلاف فيها اقل، لان النسخ في زمن التشريع لم يحصل الا عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر حالة الصلاة ثم تعميم منعه . وكتغيير المقضى للتوارث بالاخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي ارحامهم في بدء الامر، ثم لما تلاحقوا بعد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالنسب . وكالدعوة في الاول للتوحيد والدين بمجرد الموعظة بدون جدال، ثم به بدون صدع، ثم به بدون قتال، ثم به في اهل جزيرة العرب فقط^(١) ثم بتعميمه مع قبول الجزية والخراج من غيرهم (مرهمي) .

قال السعير الانكليزي: ان ما وصفت من اصول الاجتهاد وقوانين استنباط الاحكام قد انتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى: (اقيموا الدين ولا تفرقوا فيه)، وخلاف ما تقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .

(١) شرع الاسلام او السيف خاصاً باهل جزيرة العرب بقصد أحكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنسية، لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف .

اجابه العالم النهرى : انى لاهتدى لذلك سبيلا^(١)، ولعل فى
الاخوان من يتصور وسيلة لهذا الامر المهم.

فاتدر العروة المصرى مخاطبا السعيد الانكليزى وقال : ان
رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك
انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخونا العالم النجدي فى الفروع
دون الاصول ، وفى السنن والمندوبات والصغائر والمكروهات دون
الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات ؛ وكان اكثر الامة هم
العامة الذين لا يتقدرون ان يميزوا بين الواجب والسنة والمندوب ،
وبين النفل والمباح ؛ او يفرقوا بين الكفر والحرام ، وبين الكبيرة
والصغيرة والمكروه تنزيها والتقوى ؛ بل تنقسم الاحكام كلها فى
نظرهم الى نوعين اصليين فقط : مطلوب ومحذور ، وبتعبير آخر الى
حلال وحرام ، وكانت احكام الشريعة كثيرة جدا ، فالعامة يجدون
انفسهم مكلفين بما لا يطيقون الاحاطة بمعرفته فضلا عن القيام به ،

(١) الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق ، فهذه البرتستانية ، فى
ظرف مائتى سنة تفرقت الى مايزيد على مائتى فرقة ، وهذه احكام الاحوال الشخصية
من نكاح ونحوه فى النصرانية يختلف فيها بين الكنائس او بين رؤساء كل
كنيسة اختلافا لا يهتدى معه الى نتيجة .

ويرون ان لامناص لهم من التهاون في اكثره او بعضه ، فيقوم احدهم بالبعض دون البعض ، فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويتقي المكروه ويقدم على الحرام ، وذلك كما قلنا لاستكثاره الاحكام وجهله بمراتبها في التقديم والتأخير^(١) .

بناء على ذلك ارى لو ان فقهاء الامة كما فرقوا مراتب الاحكام على المسائل ، يفرقون المسائل ايضا على مراتب في متون مخصوصة؛ فيعقدون لكل مذهب من المذاهب كتابا في العبادات ينقسم الى أبواب وفصول تُذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط، وتنطوي ضمنها الشرائط والاركان بحيث يقال ان هذه الاحكام في هذه المذاهب هي اقل ما تجوز به العبادات .

ويعقدون كتابا آخر ينقسم الى عين تلك الابواب والفصول، تذكر فيها السنن بحيث يقال ان هذه الاحكام ينبغي رعايتها في اكثر الاوقات .

ثم كتابا ثالثا مثل الاولين تذكر فيه سنن الزوائد، بحيث يقال ان هذه الاحكام رعايتها اولى من تركها .

(١) كالاتراك يهتمون بالسنن والمكروهات اكثر من الواجبات

والمنهيات .

وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهيات ، يقسم الى ابواب
وفصول تعد فيها المكفرات والكبائر، وكذا الصغائر والمكروهات،
ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على طبقات من الاحكام الاجماعية
أو الاجتهادية او الاستحسانية .

فيمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو
مكلف به في دينه ، فيعمل به على حسب مراتبه وامكانه، وبه — هذه
الصورة تظهر سماحة الدين الخفيف ، ويصير المسلم مطمئن القلب،
مثله كمثل تاجر له دفاتر وقيود وحسابات وموازنات منتظمة فيعيش
مطمئن الفكر . وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق
منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره ، لا يعرف ماله وما عليه ،
فيعيش عمره مرتبك البال مضطرب الحال (مرصحي) .

قال العمري : انا معاشر اهل اليمن ومن يلينا من اهل
الجزيرة ، كما اننا لم نزل بعيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل
على مذهب السلف في الدين ، بعيدين عن التفتن فيه . ومسلكنامسلك
اهل الحديث واكثرنا يخرج الاحكام على اصول اجتهاد الامام زيد
ابن علي بن زين العابدين ، او اصول الامام احمد بن حنبل . واني
أذكر للاخوان حالتنا الامتهادية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين؛

وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الأتراك ومن يحكمون أناسنا من أهل السنة ، لا كما يوهمون أو يتوهمون ، فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب : العلماء والقراء والعامّة .

فالتبقة الأولى : العلماء ، وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات :

١ - ان يكون عارفاً باللغة العربية المضربة القرشية بالتعلم والمزاولة معرفة كافية لفهم الخطاب ، لا معرفة احاطة بالمفردات ومجازاتها ، وبقواعد الصرف وشواذها ، والنحو وتفصيلاته ، والبيان وخلافاته ، والبديع وتكلفاته ، مما لا يتيسر اتقانه الا لمن يفني ثلثي عمره فيه ، مع انه لا طائل تحته ولا لزوم لاكثره الا لمن اراد الادب

٢ - ان يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه ، مع الاطلاع على اسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها المدونة المأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام ، او تفسير اصحابه عليهم الرضوان ، ومن المعلوم ان آيات الاحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدا^(١) .

(١) وقد احاط بها التفسير الاحمدى الهندي .

٣ - ان يكون متضلعا في السنة النبوية المدونة على عهد التابعين
وتابعيهم، او تابعي تابعيهم فقط، بدون قيد بمائة الف او مائتي الف
حديث ، بل يكفيه ما كفى مالكا في موطنه واحمداً في مسنده.
ومن المعلوم ان احاديث الاحكام لا تجاوز الالف وخمسة
حديث ابداً^(١).

٤ - ان يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم
واصحابه واحوالهم من كتب السير القديمة والتواريخ المتبررة
لاهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم ،
وكابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري وأضرابهم.
٥ - ان يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق
والجدل التعليميين^(٢) والفلسفة اليونانية والالهيات الفيشاغورسية،
وبابحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزعات المعتزلة ، واغرابات

(١) وقد احاط بها الامام الشوكاني النبي . (لعل المؤلف يشير الى
كتاب منتقى الاخبار الذي شرحه شوكاني) .

(٢) قد حقق الغربيون ان لائحة من المنطق كلياً فأهملوه، مع انهم
يعتنون بالبحث عن وسائل تفاهم المجاوات . (ان المؤلف يعبّر بالمنطق عن
المنطق المحض، لان الغربيين لم يهملوا المنطق كلياً وانما خرجوا به عن النظريات
المحضنة) .

الصوفية، وتشديدات الخوارج، وتخريجات الفقهاء المتأخرين،
وحشويات الموسوسين، وتزويقات المرائين وتحريفات المدلسين
(مرمى) .

فأهل هذه الطبقة يستهدون بانفسهم ولا يقلدون الا بعد الوقوف
على دليل من يقلدون ، فاذا وجدوا في المسألة قرآنا ناطقا لا يتحولون
عنه لانيره مطلقاً ، واذا كان القرآن محتملاً لوجوه ، فالسنة قاضية عليه
مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله أخذوه من صحيح سنة
رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء كان الحديث مستفيضاً ام غير
مستفيض ، عمل به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين ام لم
يعمل به الا واحد فقط ، ومتى كان في المسألة حديث صحيح لا يعدلون
عنه الى اجتهاد . ثم اذا لم يجدوا في المسألة حديثاً يأخذون باجماع
علماء الصحابة ، ثم بقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يقيّدون بقوم
دون قوم . فان وجدوا مسألة يستوي فيها قولان رجحوا أحدهما
بمرجح يقوم في الفكر ، لا يتبعون فيه اصولاً موضوعة غير مشروعة ،
او طرقاً مقررّة غير مرفوعة . وأهل هذه الطبقة عندنا ، ينورون
اذهانهم باصول استدالات الامام زيد رضي الله عنه او غيره من
الائمة في تخريجهم الاكام واستنباطها من النصوص بدون تقييد

بتقليد احدهم خاصة دون غيره . لانهم لا يجوزون اتباع امام اذا رأوا
ماذهب اليه في المسألة بعيدا عن الصواب ، فلا يقلدون احدا تقليدا
مطلقا كانه نبي مرسل .

والطبقة الثانية هم : الفراء ، وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى
قراءة فهم بالاجمال مع اطلاع على جملة صالحة من سنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، فهو لاء يستهدون في اصول الدين بانفسهم لانه مبنية
غالبا على قرآن ناطق او سنة صريحة ، او اجماع عام مفسر لغير
الناطق والصريح .

واما في الفروع فيتبعون احد العلماء الموثوق بهم عند المستهدي
من الاقدمين او المعاصرين ، بدون ارتباط بمجهد مخصوص او عالم
دون آخر ، مع سماع الدليل والميل الى قبوله كما كان عليه جمهور
المسلمين قبل وجود التعصب للمذاهب .

والطبقة الثالثة هم . العامّة ، وهو لاء يهديهم العلماء مع بيان الدليل
بقصد الاقتناع ، فالعلماء عندنا لا يجسرون على ان يفتوا في مسألة
مطلقا ما لم يذكروا معها دليلا من الكتاب و السنة او الاجماع ،
حتى ولو كان المستفتي اعجميا اميا لا يفهم ما الدليل ، وطريقتهم هذه
هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والائمة المجتهدين والفقهاء

الاولين من اهل القرون الاربعة اجمعين (مرمى).

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبني على مقاصد مهمة اعظمها تضيق دائرة الجراءة على الافناء بدون علم ، وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين وسدا لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ، ولهذه الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في النكير على المتجاسرين على التحليل والتحريم والمستسلمين لمحض التقليد .

فالعالم عندنا لا يستطيع ان يجيب الا عن بعض مايسأل ولا يأنف ان يقف عند « لا ادري » ، بل يحذر ويخاف من غش السائل وتغريه اذا اجابه بان فلانا المجتهد يقول ان الله احل كذا او حرم كذا ، لان السائل لا يعلم مايعلم هو من ان هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو افضل منه من الصحابة والتابعين ، ومن انه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ، ومن ان اكثر دلائله اما ظنية الثبوت او ظنية الدلالة او ظنيتهما ، ومن انه لم يدون ماقاله ولكن نقله عنه الناقلون ، وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وايجاب ونفي واثبات . وكم زيف اصحابه اجتهاده ورأوا غير مارآه ، ومن انه اي المجتهد انما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه ، وصرح بعدم جواز ان يتبعه احد فيما اجتهد وتبرأ من تبعه الخطأ .

فهذا (الامام مالك) رضي الله عنه يقول : مامن احد الا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه الا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون ان المنصور لما حج واجتمع بمالك اراده على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على المصحف ، فقال مالك لا مسيل الى ذلك لان الصحابة افرقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الامصار ، يريد ان السنة ليست بمجموعة في موطنه الذي جمع فيه مرويات اهل المدينة .

وحكي في اليواقيت والجواهر ان (ابا حنيفة) رضي الله عنه كان يقول : « لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي ان يأخذ بكلامي » . وكان اذا افتى يقول : هذا رأي النعمان بن ثابت ، يعني نفسه ، وهو احسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء باحسن منه فهو اولى بالصواب .

وروى الحاكم البيهقي ان الشافعي رضي الله عنه كان يقول : اذا صح الحديث فهو مذهبي ، وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الخاطئ . وانه قال يوما للمزني : يا ابراهيم لا تقلدني فيما اقول وانظر في ذلك لنفسك فانه دين . وكان يقول : لاحجة في قول احد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويروى عن (احمد بن حنبل) رضي الله عنه انه رأى بعضهم يكتب كلامه فانكر عليه وقال : تكتب رأيا لعلي ارجع عنه . وكان يقول ليس لاحد مع الله ورسوله كلام . وقال لرجل : لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الاوزاعي ولا الحنفي ولا غيرهم ، وخذا الاحكام من حيث اخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبهم على ترك التأويل والترقيع بالرأي واتباع الغير فيما فيه طريق العقل واحد .

ونقل الثقة ان سفیان الثوري رضي الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعها .

وروي عن ابي يوسف وزفر رحمهما الله تعالى انها كانا يقولان لالحل لاحد ان يفتي بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا . وقيل لبعض اصحاب ابي حنيفة : انك تكثر الاختلاف الى ابي حنيفة ، فقال : لانه اوتي من الفهم ما لم نوث ، فأدرك ما لم ندرك ، ولا يسعنا ان نفتي بقوله ما لم نفهم دليله وتفتن (مرمى) .

ثم قال : ايها الاخوان الكرام قد اطلت المقال فاعذروني ، فاني من قوم ألفوا ذكر الدليل وان كان معروفا مشهورا ، وقد ذكرت طريقة علماء العرب في الجزيرة منوها بفضلها لافضلهم على غيرهم ، كلابل غالب علماء سائر الجهات احد ذهنا وادق نظرا واغزر مادة

واوسع علماء ، ولذلك لم نزل نحن في تعجب وحيرة من نظر اولئك
العلماء المتبحرين في أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب
الاجتهاد .

نعم لم يبق في الامكان ان يأتي الزمان بامثال ابن عمرو وابن العباس ،
او النخعي وداود ، او سفيان ومالك ، او زيد وجعفر ، او النعمان
والشافعي ، او احمد والبخاري رضي الله عنهم أجمعين ، ولكن متى
كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقهه الا امثال هؤلاء النوابغ العظام ؟
أليس اساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه : (انا جمعناه قرآنا
عربيا لعلمك تعقلون) . وقال تعالى : (كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا)
وقال تعالى : (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال
تعالى : (ولقد انزلنا اليك آيات بينات) وقال تعالى : (أفلا يتدبرون
القرآن) . فما معنى دعوى العجز والتمثل بمن قالوا : (قلوبنا
غلف) ، سخانا الله تعالى (مرمى) .

اما السنة النبوية أفلم تصل اليها مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث
جزاهم الله خيرا ، الذين جابوا الافطار والبلاد التي تفرق اليها الصحابة
رضي الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها ،
وسهلوا الاحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير افراد من علماء

الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .

وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن والسنة ، فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد ، والاستنباط والتخريج والتفريع ، وقياس النظر على النظر ، فهم ارشدونا الى الاستهداء وما احد منهم دعانا الى الاقتداء به مطلقاً (مرمى) .

ثم انا اذا اردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم اولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم علماً وهيباً او كسبياً خارقاً للعادة ، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله ، وهو اغزرهم مادة واول واعظم من وضع صولا لفقهِه ، نجده قد اسس مذهبه على اللغة فقط من حيث : المشترك والمتباين والمترادف ، والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء ، والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع ، والعطف المرتب وغير المرتب ، والفور والتراخي ، والحروف ومعانيها ، الى قواعد اخرى لا تخرج عن علم اللغة . واتبع ابا حنيفة في ادخاله في اصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل : دلالة المطابقة ، والتضمن والالتزام ،

ومعرفة الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض ، والمقدمتين
والنتيجة والقياس المنتج . واتبعه ايضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن او
حديث على ماورد فيه ؛ وهكذا فتح كل من اولئك الائمة العظام
لمن بعده ميداناً واسعاً ، فجاء أتباعهم ومدوا الاطناب واكثروا من
الابواب ، وتفننوا في الاشكال وتنويع الاحكام ، واحدثوا علمي
الاصول والكلام . وهذا التوسيع كله ليس من ضروريات الدين
بل ضرره اكثر من نفعه ، وما اشبه الامور الدينية بالامور المعاشية :
كلما زاد التألق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة سُلبت الراحة .

والقول الذي فيه فصل الخطاب : ان الله سبحانه وله الحكم لم
يرض منا ان نتبع الاعلم الافضل ، بل كلفنا بان نستهدي من كتابه
وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا بمجردنا حيث
قال تعالى : (لا يكلف الله نفساً الا وسعها) ، فنسأل الله التوفيق
لسواء السبيل .

قال ابوستانه الرئيس : اني احمد الله على توفيقه ايانا الى هذا
الاجتماع المبارك ، الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن
حالة اخواننا واهل ديننا في البلاد المتباعدة . ولم يكن يسمع بعضنا
عن بعض شيئاً الا من السواح الغرباء الجهلاء الذين لا يعرفون

ما يصفون ؛ او من اهل السياسة والعلماء المتشيعين لهم ، الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق الكلمة ومنع الائتلاف
(مرمى) .

ثم قال : هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال واذن
لنا الوقت بالانصراف .

الاجتماع السادس

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الاول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها، وقرئ الضبط السابق، واستعدت الاذهان لتلقي ما يفيضه الله على السنة اهل الايمان من الاخوان .

قال الاستاذ الرئيس مخاطباً « الشيخ السندي » : انك يا مولانا لم تشار كنا في البحث الى الآن، فترجوك ان تتكرم على اخوانك بنبذة من عرفانك تنور بها افكارنا . وترجوك ان لا تحتشم من التلثم في بعض التعبيرات اللغوية لغلبة العجمة عليك ، فان لك اسوة بالفيروز ابادي والسمدو الفخر وغيرهم .

فقال الشيخ السندي : انكم ايها السادة الاخوان ، سرة افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد افدتم وأجدتم ، ولم تتركوا لقائل من مجال ، ولا مثلي غير الاصفاء والامثال . واني احب ان

أذكر لكم حالي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات، وما أثرته في هذه المفاوضات ، فاقول :

اني من خلفاء الطريقة النقشبندية . اذ كان والدي المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للاقاليم الشرقية والجنوبية في الهند ، وقد صرت بعد والدي مرجعا لعامة خلفائها ، ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الارحاء وفي أيلات كاشغر وقازان حتى سيديريا وتلك الانحاء ، وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا ، صار لها شيوع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن المعلوم ان طريقتنا من اقرب الطرائق للاخلاص واقلها انحرافا عن ظاهر الشرع ؛ وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ، ومراقبة المرشد والاستمداد من الروحانيات . واني لم اكن افكر قط في ان الذكر وقراءة الورد على وجه راتب فيه مظنة البدعة او الزيادة في الدين ، ولا ان المراقبة والاستفاضة والاستمداد من ارواح الانبياء والصالحين فيها مظنة الشرك ، الى ان حضرت هذه الاجتماعات المباركة فسمعت وقلعت وأقلمت والحمد لله . على اني عازمت ايضا على ان اتلطف في الامر بالنصيحة والموعظة الحسنة ، عسى ان اوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك

البلاد، وإلى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص، مين، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية معينة، متى شأوا و ارادوا بدون وقت مرتب، فرادى ومجتمعين بدون تداعٍ. وان يتركوا المراقبة ويستعوضوا عنها بالدعاء بالفقران والرحمة لكل من الشيخ بهاء لدين النقشي مرشدهم الاعلى وخليفته مرشدهم الادنى الذي هم مبايعوه .

وقد فتح الله عليَّ ببركة جمعيتنا هذه فهم اسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد، صالحهم و فاسقهم، للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية، وكنت قبلاً أحمل ذلك على مجرد اخلاص المرشدين، والان اتضح لي أن السبب هو: أن السادة الفقهاء عندنا من الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضييقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه من عباده، وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الافتاء والقضاء، حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقيهاً .

فتوسيع الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضييق الدين على المسلمين تضييقاً اوقع الامة في ارتباك عظيم، ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه ان يعتبر نفسه مسلماً ناجحاً لعمذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته

على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الاخذون بالعزائم، فبذلك اصبح
الجمهور الاكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون
اضطراباً، فيهنون عليهم التهاون اختياراً كالتفريق لا يحذر
البلل .

لانه كيف يطمئن الحنفي العامي حق الاطمئنان في الاستبراء
لتصح طهارته ، وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت
العجمة لسانه لتصح صلاته؟ وكذلك كيف يصحح الشافعي العامي
نيته على مذهب امامه في الصلاة ، او يعرف شدات الفاتحة
الثلاث عشرة ويتبه لظهارها كلها ليكون أدى فريضته .

بل أي عامي يعرف وصف الكلام، ومعنى الاستواء ، وتأويل
الوجه واليد واليدين ، وتعيين الجزء الاختياري، واطافة الاعمال له
اوله، الى غير ذلك، ليكون عند الحنفية الماتريديّة والشافعية الاشاعرة
مسالمًا مقلداً يرجي له قبول الايمان . وامن من العامة يحيط علماً
بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقره نبي اسرائيل مثلاً ،
لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيجبط عمله ومن جعلته انفساخ
نكاحه .

وكم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بانه نسل سفاح ومقيم

على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح ، الى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزية التدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فبهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجا الا بالالتجاء الى صوفية الزمان ، الذين يهونون عليه الدين كل التهوين . (مرمى) .

وهم القائلون : أن العلم حجاب ، وبلهجة تقع الصلحة ، وبنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وليا ، وبنفخة في وجه المرید أو تقة في فمه تطيعه الأفعى وتحترمه المقرب التي لدغت صاحب النار عليه الرضوان ، وتدخل تحت امره قوانين الطبيعة . وهم المقررون : بان الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها الا الكذب ، وان الاعتقاد اولى من الانتقاد ، وان الاعتراض يوجب الحرمان ، اي ان تحسين الظن بالفساق والفجار اولى من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . الى غير ذلك من الاقوال المهوثة للدين والاعمال التي تجمله نوعا من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين ؛ وأين هم ؟ لفروا منهم فرارهم من الاسد ، لان ليس عند هؤلاء الا التوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من امراض افراط الشهوات ،

وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا ، وحمل الطباع
بوسائل القهر والتمرين على الاستئناس بالله وبعبادته عوضا عن الملاهي
المضرة ، وذلك طبا للراحة الفكرية والعيشة المهنية في الحياة الدنيا
والسعادة الابدية في الآخرة . وأين التهوين السالف البيان لصوفية
الزمان من هذه المطالب التهذبية الشاقة ؟ ومن حقائق العرفان
المعنوية التي لا يعرفها ويتلبس بها الا من وفقه الله وكشف عن
بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان : ان من اعز كلمة الله
أعزه الله ، ومن نصر الله نصره الله ، ومن توقع الخير أو الشر جازما
نال ما توقع . ومن تصفو نفسه يُلبم رشده ، ومن اتكل على الله
حقا كفاه الله ما أهمه ، ومن دعا الله مضطرا أجاب دعاه . الى غير
ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن واسرار حكمة سيد ولد عدنان
صلى الله عليه وسلم . (مرهق) .

قال ابو اسحاق الرُّبَيس : قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه
المتفهمة المتشددة والمتصوفة المخففة ، وأني ملحق تقريره بما يناسب
ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فاقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لاكثر الصحابة والتابعين ،
ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المتنسكين ، فصار لاهله حرمة

مخصوصة بين الناس . وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه
الحرمة بالتلبس بالتنسك والزام النفس بالتمرن عليه ؛ وحيث كان
من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا الصوف
ذئاراً واسم الفقر شعاراً ، فغلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء .
ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المعتزين بالتنسك ، أحبو التميز بالرياسة
أيضاً ، فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق
التمرن عليه ، ومن هنا جاء اسم الارشاد واسم الطريق .

وحيث كانت ارادة الاعتزاز بالدين ارادة حسنة لان فيها اعزازاً
لكلمة الله ، فلا يؤخذ شيء على المرشدين الاولين ، ولا على البعض
النادر من المتأخرين ولو من اهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية
في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضراره بالدين وبالمسلمين مما
ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الاخوان الكرام ، فقد
نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع ، لما رأوا توسع
الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد ، فهم كذلك
اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الالهيات قواعد ،
وانزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً ، وألبسوها لباساً

اسلاميا فجعلوه علما مخصوصا ميزوه باسم علم التصوف، أو الحقيقة،
أو الباطن .

وهكذا بعد أن كان التصوف عملا تعبديا محضا جعلوه فنا نظريا
اعتقاديا مجننا .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة، رأوا
مجالا في جهل اكثر الامة لان يحوزوا بينهم مقاما، ك مقام النبوة بل
الالوهية، باسم لولاية والقطبانية أو الغوثية ؛ وذلك بما يدعون من
القوة القدسية والتصرف في الملكوت ، فوسعوا فلسفة التصوف
باحكام تشبه الحكم ، بنوها على زخرف التأويلات والكشف
والتحكات والمثال والخيال والاحلام والاوهام ، والفوا في ذلك
الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة ، محشوة بحكايات مكذوبة،
وتقررات مخترعة ، وقضايا وتركيبات لامفهوم لها البتة حتى ولا
في مخيلة قائلها، كما أن قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً
وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ، ويتمظأن للقوم اصطلاحات
لاتدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم .

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفرةً ومع ذلك شاعت كتبهم
ومقالاتهم ، وحازوا المقام الذي ادعوه بعد مماتهم ، لان في تعظيم

شأنهم ترويح مقاصد المقتفين لا تارهم كالأباحين . وبمضهم لم يكن من الغلاة، ولكن اخلافه اعظاما لانفسهم في نظر حقااء الامة (١) نسبوا اليه الغلو، وعزوا اليه كتبا ومقالات لا يعرفها ، ومنهم الافاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله .

ثم قال روستااز الربسي للخطيب القازاني : ان الاخوان يترقبون منه أيضاً أن يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية .

فقال الخطيب القازاني : ان الاخوان الافاضل لم يتركوا قولا لقائل ، ولذلك لا أجد ما اتكلم فيه، وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجي روسي من العلماء المنسرفين العارفين باللغة العربية، المولعين باكتشاف وتبع العلوم الشرقية ولاسيا الاسلامية ، وقد هداه الله الى الدين المبين ، فاجتمع بمفتي قازان وقال له: أنه قد اسلم جديدا ، وهو بالغ من معرفة لغة القرآن والسنة مبلغاً كافياً، وعالم بموارد ومواقع الخطأ علماً وافياً، ف يريد أن (١) لعلمهم بأن أكثر الناس حقااء، لاسيا الأمراء ، ودأبهم تعظيم العظام البالية، حتى لو فرض أن أحبي الله اصحابها لاعرضوا عنهم ومالوا الى أموات غيرهم .

يتبع القرآن وما يمكنه أن يتحقق وروده عن رسول الله، فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته، لانه لا يرى وجها معقولا للوثوق بزيد أو عمرو أو بكر أصحاب الاقوال المتضاربة المتناقضة، لأن حكم العقل في الدليلين المتعارضين التساقط، وفي البرهانين المتباينين التهاثر، فهل من مانع في الاسلامية يمنعه من ذلك .

فاجابه « المفني » : ان اكثرية الامة مطبقة منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الاربعة المنقولة مذهبهم، فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ .

فقال « المستشرق » : لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم، وان خالف العقول، لاقتضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية، ولاقتضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم : من ان امته تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة، هي التي كان هو واصحابه عليها . وقد وقع ما أخبر به ، وكل فرقة تدعي أنها هي تلك الواحدة الناجية ، ولاشك ان الاثنتين وسبعين فرقة أكثر من اي واحدة كانت منها، فأين يبقى حكم الاكثرية؟ فاجابه « المفني » : أنه قد سبقنا من أهل التحقيق والتدقيق الذين

تشهد آثارهم بمزيد علمهم الوفاء من الفضلاء ، وكلهم اعتمدوا لزوم
اتباع أحد تلك المذاهب القديمة، حتى بدون مطالبة أهلها بدلائلهم،
لان مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح،
ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه أن يجرب طبائع المفردات كلها
ليعتمد عليها، بل يأخذ علمه بطبائعها عما دونه أئمة الطب .

فقال «المستشرق» : نعم ان الطبيب يعتمد على ما حققه الاولون
ولكن فيما اتفقوا عليه ، وأما ما اختلفوا فيه على طرفي تقيض بين
نافع أو سام فلا يعتمد فيه أحد القولين، بل يهملهما ويجدد التجربة
بمزيد الدقة والتحقيق ، لان اعتماده على أحدهما يكون ترجيحاً بلا
مرجح . هذا واننا لنرى بباديء النظر أن هؤلاء الأئمة الأقدمين
لا يتقنون أن يطالعوا على ما لا يقدر المتأخرون أن يطالعوا عليه ،
ويكفينا برهاننا على ذلك :

(أورد) تخالفهم في كل الاحكام، الا فيما قل ونذر، تخالفهم بما
بين موجب وسالب ومحلل ومحرم ، حتى لم يتمكنهم الاتفاق في نحو
مسائل الطهارة وستر العورة وما يحل أكله وما لا يحل .

(ثانياً) : ترددهم في الاحكام وقلوبهم في الآراء ، وذلك كحكم
أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره ؛ كما يقول اصحاب الشافعي

انه كان له مذهبان، رجع بالثاني منها عن الاول .

(ثالثاً): اختلاف آباعهم في الرواية عنهم كأصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه، ويؤول ذلك لهم بعض المتأخرين بتعدد مذاهبه في المسألة الواحدة .

والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الائمة، ولا سيما الامام الاعظم منهم، لا يتخلص من قلق الضمير، او يكون كحاطب ليل. بناء على ذلك لابد للمتحرري في دينه من ان يهتدي بنفسه لنفسه، أو يأخذ ممن يثق بعلمه ودينه وصواب رأيه ولو من معاصريه، لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل والنقل فيه المباشرة واتباع التقليد .

أجابه «الفتي»: نحن لا نحتمم بان الصواب مقطوع فيه في جانب أحد تلك المذاهب، بل المقلد منا امان يقول باصابة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال «المستشرق»: هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله: أو القول بالترجيح بلا مرجح، لانكم تتحامون المفاضلة بين الائمة. واعترافكم باحتمال الجميع للخطأ يقتضي جواز تركها كلها مع أنكم توجبون آباع احدها . أفليست هذه قضايا لا تتطابق ولا تعقل،

فماذا لا تجوزون وأنتم على هذا الارتباك أن يستهدي المبتي لنفسه،
فان تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن اتبعه والا كان مختاراً .
وهل يكلف الله نفسها الا وسعها ؟

أجابه «المفتي» : اننا لنبعد العهد لم يبق في امكاننا التحقيق ،
فالنا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه
يحتمل الخطأ .

قال «المستسرو» : ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله ؟
أليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره ، فيستهدي
بنفسه لنفسه حسب وسعه ، فان أصاب كان مأجورا وان أخطأ
كان معذورا ، ويكون ذلك أولى من ان يأسر نفسه للخطأ المحتمل
من غيره .

أجابه «المفتي» : ان هذا الغير أعرف منا بالصواب وأقل منا
خطأ ، فتقليده أقرب للحق .

قال «المستسرو» : هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون ، أما في
الخلافا فالعقل يقف عند الترجيح بلا مرجح ، ولا سيما اذا
كتم لا تجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتي
عقله في الترجيح ، بل تقولون نحن اسراء النقل وان خالف

ظاهر النص .

أجابه «المفتي» : انا اذا أردنا أن لانعد من شرعنا الامتتحقق بانفسنا دليله من الكتاب أو السنة او الاجماع تضيق حينئذ علينا احكام الشرع ، فلا تفي بحل اشكالاتنا في العبادات ولا لتعيين أحكام حاجتنا في المعاملات ، فيحتاج كل منا أن يعمل برأيه في غالب دقائق العبادات والمعاملات ، ويصير القضاء غير مقيد بايجابات شرعية . وهل من شك في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات اليق بالحكمة من : لا اطراد ولا نظام .

قال «المستور» : لاشك في ذلك، ولكن اين الاطراد والانتظام منكم ، ولا يكاد يوجد عندكم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ، ان لم تكن في المذهب الواحد فبين مذهبين او ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين او اكثر، أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتي، او تفويض الحكم لحرية القاضي . فيجاء على ذلك ان الامر أمر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذبوا افتراءً وافساداً لدين الله على عباده ، ولو ان الامر نظام وضعي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سلفوا من عشرة

فرون ، ولا ان يلتزم اهل الغرب بقانون اهل الشرق . وعندى ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندكم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال « المستسرون » واعيد قولي انكم تحبون ان تكلفوا انفسكم بما لم يكلفكم به الله، ولو ان في الزيادات خيرا لاختارها الله لكم ولم يمنعكم منها بقوله تعالى : (ما فرطنا في الكتاب من شيء) اي مما يتعلق بالدين^(١) ، وقوله تعالى : (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) . وقوله تعالى : (تلك حدود الله فلا تعتدوها ، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) . ولكن ، علم الله ، الخير في القدر الذي هداكم اليه ، وترك لكم الخيار على وجه الاباحة في باقي شئونكم لتوفقوها على مقتضيات الزمان ابي الغير وموجبات الأحوال التي لا تستقر ، فبناء عليه ، اذا اتيتم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها ، يكون خيراً من ان تأتوها وانتم حيارى لاتدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله ، فتعيشون وافئدتكم هواء ، تحاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذابا

(١) يريد أن القرآن محيط بأحكام الدين وما يناسبه لابل مافي علم الله كما يتوم الكثيرون .

عظيماً . وليس هذا من مخافة الله التي هي رأس الحكمة ، ولا من مراقبة الوازع التي هي مزية الدين ، بل هذا من الارتباك في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور .

ثم قال : اعلم ايها المفتي المحترم ، ان هذه الحالة التي انتم عليها من التشديد والتشويش في امر الدين ، هي اكبر اسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الاولى في شؤون الحياة ، كما انحط قبلهم الاسرائيليون بما شدده وشوشه عليهم أهل التلمود ، وكما انحطت الامم النصرانية لما كانت (أرثوذكسية) مغلظة او (كاثوليكية) متشددة ، يتحكم فيها البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين ، فكانوا يكلفون الناس ان يتبعوا ما يلقنونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق ؛ حتى كانوا يحظرون عليهم ان يقرأوا الانجيل او يستفهموا معنى التثليث الذي هو اساس النصرانية كما ان التوحيد اساس الاسلامية . وقي ذلك كذلك الى ان ظهرت (البروتستان) ، اي الطائفة الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية ، وابطلت المزيادات والتشديدات التي لاصراحة فيها في الانجيل ، والى ان اتسع من جهة اخرى عند الامم النصرانية نطاق العلوم

والفنون رغماً عن معارضة رجال الكهنوت لها ، فتاقت ايضاً الكاثوليكية والارثوذكسية عند العوام واضحتا بالكيفية عند الخواص . لان العلم والنصرانية لا يجتمعان ابداً ، كما ان الاسلامية المشوبة بحشو المتفنين تظل العقول وتشوش الافكار .

اما الاسلامية السمحاء ، الخالصة من شوائب الزوائد والتشديد ، فان صاحبها يزداد إيماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً ، لانه باعتبار كون الاسلامية هي احكام القرآن وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الامة في الصدر الاول ، لا يوجد فيها ما يباه عقل او يناقضه تحقيق علمي .

وكفى شرفاً للقرآن العزيز انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وانذار وتبشير واوامر ونواه وقصص وآيات آلاء ، قد مضى عليه ثلاثة عشر قرناً تمخضه افكار الناقلين المعادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد ، كما قال الله تعالى فيه : (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) . بل الامر كما تنبه اليه المدققون المتأخرون انه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التلميح او التصريح في القرآن . اودع الله ذلك فيه ليتجدد اعجازه ويتقوى الايمان به انه من عند الله ، لانه ليس من شأن مخلوق

ان يقطع برأي لا يبطله الزمان .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على انها حقائق، ولم تتردد فيها عقول عامة البشر ألوفاً من السنين، أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال : كفى السنة النبوية شرفاً ، أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين، من يربو عدد ما يعزى إليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع ، مع ان في السنة المحمدية على صاحبها افضل التحية من الحكم والحقائق الاخلاقية والتشريعية والسياسية والعملية ألوفاً من المقررات المبتكرة، ويتجلى عظم قدرها مع تجدد الزمان وترقي العلم والعرفان .

وكفى بذلك ملزماً لاهل الانصاف بالاقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والافضلية على العالمين عقلاً ، وعلماً ، وحكمة وحزماً ، وأخلاقاً ، وزهداً ، واقتداراً ، وعزماً . وكفى أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقه في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى ، لان الدهر لم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرمى) .

ثم قال « المستشرق » للمفتي : وهذا ما دعاني للإسلام فلبيت والحمد لله ،

وعندي ان لو قام في الاسلام سراة حكام دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله .

ثم قال : واني ارى انه لا يعصي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين ، فيتولون تحرير شريعة الاسلام ، ويفيضون بها على الانام ، حتى على اهل الركن والمقام . ولا يبعد ان تأتي الايام بالبرنس محمد المهدي الروسي او الانكليزي مثلاً ، قائماً مقام الامام ، معيدا عن الاسلام باكمل نظام .

أجاب « المفتي » : لا مانع مما ذكرت ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، ودين الله دين عام لا يختص بقوم من الاقوام .

ثم قال « المستشرق » : ايها المفتي المحترم ، لا يطاوعني لساني ان ادعي الغيرة على الملة البيضاء الاحمدية اكثر منك ، انما أناشدك بالله وبحبك لديك ان تترك هذه الاوهام التقليدية القائمة في فكرك ، وتعييني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته ، ليكون سعينا هذا ذخرا عظيما نال به نخر وثواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس لهذا الدين المبين . ولا يكبرن ما أقول على فكرك ، فان أهل هذا الزمان المتنورين الاحرار لا يقاسون بأهل الازمنة المظلمة الغابرة . نعم ، ونال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من ابناء

المسلمين العريقين ، تلامذة المدارس المصرية، من هجر الالاسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات ، المعطلة بثقل التشديدات المبتدعة ، فالبدار البدار لان نفوز بهذه الخدمة التي يكاد يعادل اجرها اجر نبي مرسل والله المعين الموفق .

اجابه « المفتي » : أصبت فيما افكرت ولنعم ماشرت به، ولكن هذا عمل مهم ، يحتاج القيام به لعناية جمعية يتكون من تضلع اعضائها في فروع العلوم الدينية علم كاف للاحاطة وحصول الثقة. ولسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ، ولذلك يتحتم علينا ان نترك هذه الفكرة آسفين ، وندعو الله تعالى ان يلمم علماء مكة او صنعاء او مصر او الشام القيام بايفاء هذا الواجب .

ولما انتهى الخطيب القازاني الى هنا قال : هذه هي المساجلة ، وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين، فوجدهم كلهم يحسنون العربية اكثر من علماء الاسلام غير العرب ، مع انهم يشتغلون في علوم اللغة عمرهم كله ، وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الا فرنجية باصول لتعليم العربية اسهل من الاصول المعروفة عندنا.

قال المجهر التبريزي : اني أرى ان الاسلام اصابه قنتان عظيمتان،

ولولا قوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن .

اما الفتنة الاولى : فقد فدرها الله ومضت على وجهها ، وهي حين تشاجروا في الخلافة والملك ، وانقسموا على انفسهم بأنهم بينهم ، يقتل بعضهم بعضا ، وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة . وأما الفتنة الثانية فلم تزل مستمرة ، وهي ان الخلفاء العباسيين مالوا الى تعميق النظر في العقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الاعجام تقرباً اليهم في علم الكلام ، واكثروا من القيل والقال . ثم سرت العدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الاولى من المذاهب ، فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين ابي حنيفة والشافعي . واثاروا بينها فتنة عمياء وحرباً صماء ، وتركوا بقية المذاهب فاندروست ، ولم يبق منها سوى مذهب زيد واهم في جزيرة العرب ، ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الخزر وفارس . فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب ، كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه ، زاعما ان غرضه استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذاهب . فتزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً ، وكان من العلماء بعض الصالحاء المغفلين شاركوهم في الفتنة وهم

لا يشعرون كما قال الله تعالى : (واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .
وقوله تعالى : (قل هل تنبئكم بالاخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا) .

وهكذا اتسعت دائرة الاحكام في الشرع ، فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلا عن الرجوع الى الاصول ، فاطمأنت الامة للتقليد ، واقبل العلماء على التعمقات في الدين : يغرب المفسر ، ويتفنن ولو بحكايات قاضي الجن لانه غير مطالب بدليل . ويتفحص المحدث عن نوادر الاخبار والآثار ولو موضوعة لانه غير مسئول عن سنده . ويستنبط الفقيه الحكم ولو بالشبه من وجه للالزام للالزام للالزام لان مجال التحكم واسع . وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى ان اوقفها قصور الهمم عند الاكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين اخلدوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي اساس الدين ، ومبدأ الايمان واليقين ، والفارق بين الكفر والاسلام . وجعلوا انفسهم كالعميان لا يميزون الظلمة من النور ولا الحق من الزور ، وصاروا يحسنون الظن في كل ما يجدونه مدونا بين دفتي كتاب ، لانهم رأوا التسليم اهون من التبصر ،

والتقليد امتر للجهل . وصار اهل كل اقليم او بلد يتعصبون لمؤلفات
شيوخهم الاقدمين ، ويتخذون الخلافات مدارا لتطبيق الاحكام
على الهوى ، لا يبالون بحمل افعال الناس في الدين على عواقبهم ،
يزعمون ان التسليم اسلم ، وانهم اسراء النقل وان خالف ظاهر
النص ، ويتوهمون ان اختلاف الأئمة رحمة للامة .

نعم ان اختلاف الأئمة يكون رحمة اذا حَسُن استعماله، ويكون
نقمة اذا صار سببا للتفرقة الدينية والتباغض : كما هو الواقع بين اهل
الجزيرة السلفيين ، وبين اهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم
من المستسلمين، وبين اهل عراق العجم وفارس، والصنف الممتاز من
اهل الهند الشيعيين ، وبين اهل زنجبار ومن حولهم من الاباضيين .
فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم اهل السنة والجماعة ،
وان سواهم مبتدعون او زائغون . فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان
هذا التفرق والانشقاق رحمة لانقمة ، وسببه ، وهو التوسع في
الاحكام ، سبب خير لاسبب شر ؟

وكذلك اختلاف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق ،
لا يتصور العقل ان يكون رحمة الا بقيد حَسُن استعماله ،
والا فيكون نقمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي وحنفي

وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف ، هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا مذهباً من المذاهب ترجيحاً او وراثه او تعصباً ، ولا بد ان يكون في المذهب الآخذ به كل قوم بعض الاحكام الاجتهادية ، التي لاتناسب اخلاق اولئك القوم او لاتلائم احوالهم المعاشية وطبائع بلادهم ، فيضطرون الى الاقدام على احد امرين : اما التمسك بتلك الاحكام وان اضررت بهم ، او الجنوح الى تنقيده مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام فقط . وقد كان اكثر علماء وفقهاء المسلمين الى القرن الثامن بل التاسع يختارون الشق الثاني ، فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الاخرى ، ولكن بعد النظر والتدقيق في الادلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاصلية ، لثلا يكونوا مقلدين تقليدا اعمى لا يجوزه الدين اساساً الا للجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس ، والعلماء المتصدرون لذلك هم افراد من نوابغ العلماء المتضلعين في علوم مأخذ الدين ، اكثرهم ولا سيما الايرانيون منهم متفقون ومتخرجون على مذهب الامام « جعفر الصادق » رضي الله عنه المدون عندهم . ويطلق

اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم « مجتهدين » تجوزا واتباعا لعادة
الاعجام في التغالي في التبجيل ونموت الاحترام، ومن ذلك يُعلم ان
ما يظنه فيهم اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على
احوالهم الا من تفوهات السياسيين غير صحيح ، فما هم كما يقولون
عنهم مجتهدون في اصول الدين ، مجوزون الرأي في الاجامعات ،
مخرجون الاحكام اخذا من الدلائل الظنية ولو لم يقل بها احد من
علماء الصحابة او التابعين واعاظم أئمة الهداية الاولين . فما اخرى
ان يسمى مجتهدو فارس بمرجحين او مخرجين او فقهاء مدققين .

ثم ان بعضهم وصفوا المقلد لاحد المذاهب، اذا أخذ في بعض
الاحكام بمذهب آخر، ملفقاً وأخذة تليقاً، واستعملوا لفظة تليق في
مقام التلاعب في الدين او الترقيع القبيح . والحال ، ليس ماسموه
بالتليق الا عين التقليد من كل الوجوه، ولا بد لكل من أجاز التقليد
ان يجيزه ، لانه اذا تأمل في القضية يجد القياس هكذا : يجب على
كل مسلم عاجز عن الاستهداء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها
من اهل الذكر ، اي يقلد فيها مجتهداً ، وكل مقلد عاجز طبعا عن
الترجيح بين مراتب المجتهدين ، فبناءً عليه يجوز له ان يقلد في كل
مسألة دينية مجتهداً ما .

وما المانع على هذا الاعتبار للمسلم المقلد ان يتعلم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من مجتهد او فقيه تابع لمجتهد، فاذا اغتسل بماء دون قلتين لحقته قطرة خمر واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي، غسلا بدون ذلك كما علمه عالم حنفي؛ وبعد حدث موجب توضأ ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي، وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي، صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي، ووصل الفرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري.

افلا يكون هذا المقلد صلى صلاة تجزئة عند الله؟ بلى ثم بلى، تجزئة بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك خلاف الأولى، كما يقال في حق الخروج من الخلافات لانه لا يعقل ان يكلف هذا المقلد بأخذ دينه كله من عالم واحد، لان الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وتحالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض، مع حكم المؤتم منهم على حسب اجتهاده بعدم صحة صلاة امامه، واشتراطه صحة صلاة المأموم بصحة صلاة الامام. وهل يتوهم مسلم ان ابا حنيفة كان يمنع أن يأتهم بمالك أو يأتى ان يأت كل ذبيحة جعفر؟ كلا، بل كانوا اجلّ قدرا من ان يخطر لهم هذا التعصب على بال،

وما كان تخالفهم الا من احتياط كل منهم لنفسه .

ويوجد في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالمرجحين ، كل منهم كان مجتهدا لم يتقيد بمذهب امامه تماما ، وخالفه في كثير أو قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد ، بسبب اطلاعه على ادلة مجتهد آخر ، أو الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه .

ولأن الدين يلزم المسلم بان يتبع في كل مسألة منه الشارع لا الامام ، وان يعمل في مواقع الاجتهاد باجتهاده ، لا باجتهاد غيره وان كان أفضل منه .

وهذا ابو حنيفة وأمثاله رحمهم الله تعالى ، كانوا أفضل من ان يعتقدوا في أنفسهم الافضية على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ، ومع ذلك خالفوهما في كثير من الاحكام الاجتهادية . وفقهاء كل مذهب من المذاهب ، لم يزلوا الى الآن يجوزون الاخذ بتارة بقول الامام وتارة بقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلقيق . فلماذا لا يجوز الحنفية مثلا التلقيق بين اقوال أبي حنيفة والشافعي أو غيره ، وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس ، فاهذا الا تفريق بلا فارق وحكم بعكس

الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسلمين والتشديد عليهم في دينهم ومصالحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى :
(أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه) مرمى .

ثم ختم المجهر التبريزي مقاله بقوله : وليس مقامنا الآن مقام
استيفاء لهذا البحث ، وأما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان
جواز التلفيق اذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء
كل المذاهب .

ولاشك أن ضرورة التلفيق أم من الضرورة التي لا تجلها جواز
الفقهاء الحيل الشرعية مع انها وصمة عار على الشرع . حيث لا يعقل
أن يقال مثلا ان الشفعة مشروعة دفعا للضرر عن الشريك أو الجار ،
ولكن يجوز هذا الاضرار للمحتال . أو أن الربا حرام ولكن اذا
أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفيس جاز استباحة مقصد الربا .
أو أن إيتاء الزكاة فرض ، ولكن اذا اخرج رب المال ماله قبل
الحول ثم استعاده سقطت عنه الزكاة . الى غير ذلك من ابطال الشرع
وجعل التكليف تخييرا والتقييد اطلاقا ؛ ولا حاجة لهم في هذا غير
ما رخص الله به لا يوب عليه السلام من التوصل للبر باليمن في قوله

نعالي : (وخذ بيدك ضعفاً فاضرب به ولا تحنث) ، وما ابعد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع ، ولا شك ان بذلك صار المسلمون كأنهم لا شرع لهم . وقد غضب الله على اليهود لتحليلهم على صيد السبت فقط . ونحن نجوز الف حيلة مثلها بضرورة وبلا ضرورة .

بناء عليه، من الحكمة ان نلتمس للضرورات أحكاماً اجتهادية، فيأمر بها الامام ان وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف، فتعمل بها الامة مادام المقتضى باقياً . فاذا ألجأ الزمان الى تبديلها بقول اجتهادي آخر فكذلك يأمر به الامام أو السلطان رفعاً للخلاف . ويمثل هذا التدبير الذي لا ياباه شرعنا ولا تنافيه الحكمة نستعوض تلك الحيل المعطلة للشرع، المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه، باحكام شرعية إيجابية لازية فيها .

وبنحو ذلك يسلم شرعنا من التلاعب والتضارب ، ويتخلص القضاء والافتاء من التوفيق على الالهواء ، وحينئذ يتحقق ان الخلاف في الفروع رحمة . والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر، فيكون سعيهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الامة .

قال ابوستان الرئبي : انا نشكر أخانا المجتهد التبريزي على
بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس ، وعلى غيرته للدين وقصده التأليف
بين المسلمين . أما تقريره بخصوص أن حكم الامام ان وجد والا
فالسلطان يرفع الخلاف ، وبخصوص ان التدقيق هو عين التقليد ،
فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق ، وستقوم بمثل هذه التدقيقات في
المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي
مستشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وأن اوان
الانصراف .

الاجتماع السابع

يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقرى الضبط السابق
حسب القاعدة المرعية .

قال الروناز الرئيسى مخاطباً السيد الفراتي : ان الجمعية لتنتظر
منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ، ان تفيدها
أيضاً رأيك الذاتي في سبب الفتور المبحوث فيه ، وذلك بعد ان
تقرر لها مجمل الآراء التي أوردتها الاخوان الكرام ، حيث احطت ،
بها علماء مكرراً بالسمع والكتابة والقراءة والمراجعة فأنت
أجمعنا لها فكراً .

هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري ان
يشاركنا في ضبط خطاباتك بأن يتعاقبا في تلقي الجمل الكلامية
وكتابتها ، لانها كباقي الاخوان لا يعرفان طريقة الاختصار

الخطي المستعمل في مثل هذا المقام .
نظر الفاضل الشامي الى رفيقه وامتاح منه القول ثم قال :
اننا مستعدان للتشرف بهذه الخدمة .

قال السيد الفرائي : حباً وطاعة وان كنت قصير الطَّوْل ، كليل
القول ، قليل البضاعة . ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها
الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري ، وما لبث ان شرع في
كلامه ، فقال :

يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور
المبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه ، لاعتن
سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه
الاسباب منها أصول ، ومنها فروع لها حكم الاصول . وكلها ترجع
الى ثلاثة انواع : وهي اسباب دينية ، واسباب سياسية ، واسباب
اخلاقية . واني اقرأ عليكم خلاصاتها من جدول الفهرست الذي
أستخرجته من مباحث الجمعية رامزاً للاصول منها بحرف (الالف)
وللفروع منها بحرف (الفاء) وهي :

النوع الاول : الاسباب الدينية

١ - تأثير عقيدة الجبر في افكار الامة (١) .

- ٢ - تأثير المزهديات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) .
- ٣ - تأثير فتن الجدل في العقائد الدينية (ا) .
- ٤ - الاسترسال للتخاليق والتفرق في الدين (ا) .
- ٥ - الذهول عن ساحة الدين وسهولة التدين به (ا) .
- ٦ - تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (ا) .
- ٧ - تشويش افكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) .
- ٨ - فقد امكان مطابقة القول للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف) .
- ٩ - ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرّة (ا) .
- ١٠ - تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه لهواً ولعباً (ف) .
- ١١ - افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) .
- ١٢ - ادخال المدلسين والمقابرية على العامة كثيراً من الاوهام (ا) .
- ١٣ - خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالرهبات (ف) .
- ١٤ - ايهام الدجالين والمداجين ان في الدين أموراً سرية وان العلم حجاب (ا) .
- ١٥ - اعتقاد منافاة العلوم الحكيمة والعقلية للدين (ا) .
- ١٦ - تطرق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) .
- ١٧ - تهاون العلماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) .
- ١٨ - الاستسلام للتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) .
- ١٩ - التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) .
- ٢٠ - الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمية الحج (ا) .

- ٢١ - العناد على نبد الحرية الدينية جهلاً بمزيتها (ف) .
- ٢٢ - التزام ما لا يلزم لأجل الاستهداء من الكتاب والسنة (ف) .
- ٢٣ - تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيما هو مأمور به (ف) .

النوع الثاني : الاسباب السياسية

- ٢٤ - السياسة المطلقة من السيطرة والمسئولية (ا) .
- ٢٥ - تفرق الامة الى عصبيات واحزاب سياسية (ف) .
- ٢٦ - حرمان الامة من حرية القول والعمل ، وفقدها الأمان والامل (ف) .
- ٢٧ - فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الامة (ف) .
- ٢٨ - ميل الامراء طبعاً للعلماء المدلسين و جهلة المتصوفين (ف) .
- ٢٩ - حرمان العلماء الماملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (ا) .
- ٣٠ - اعتبار العلم عطية يحسن بها الامراء على الاخصاء ، وتفويض خدمة الدين للجهلاء (ا) .
- ٣١ - قلب موضوع أخذ الاموال من الاغنياء واعطائها للفقراء (ا) .
- ٣٢ - تكليف الامراء القضاة والمفتين أموراً تهدم دينهم (ف) .
- ٣٣ - ابعاد الامراء النبلاء والاحرار وتقريبهم المملوقين والاشرار (ا) .
- ٣٤ - مراغمة الامراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) .
- ٣٥ - فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) .
- ٣٦ - حماقة اكثر الامراء وتمسكهم بالسياسات الخرقاء (ف) .
- ٣٧ - اصرار اكثر الامراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) .
- ٣٨ - انقاس الامراء في الترف ودواعي الشهوات ، وبعدهم عن المفاسدة

- بغير الفخفة والمال (ف) .
 ٣٥ - حصر الاهتمام السياسي بالجباية والجندي فقط (ا) .

النوع الثالث : الاسباب الاضيقية

- ٤٠ - الاستفراق في الجهل والارتياح اليه (ا) .
 ٤١ - استيلاء اليأس من اللحاق بالفاؤزين في الدين والدنيا (ف) .
 ٤٢ - الاخلاذ الى الخول ترويحاً للنفس (ف) .
 ٤٣ - فقد التناصح وترك البنض في الله (ا) .
 ٤٤ - انحلال الرابطة الدينية الاحتسابية (ا) .
 ٤٥ - فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) .
 ٤٦ - فقد التربية الدينية والاخلاقية (ا) .
 ٤٧ - فقد قوة الجمعيات وثمره دوام قيامها (ا) .
 ٤٨ - فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكاة (ا) .
 ٤٩ - ترك الأعمال بسبب ضعف الآمال (ف) .
 ٥٠ - اهمال طلب الحقوق العامة جيناً وخوفاً من التخاذل (ف) .
 ٥١ - غلبة التخلق بالخلق تزلفاً وصغاراً (ف) .
 ٥٢ - تفضيل الارتزاق بالجندي والخدم الاميرية على الصنائع (ف) .
 ٥٣ - نوم ان علم الدين قائم في المهائم وفي كل ماسطر في كتاب (ف) .
 ٥٤ - معاداة العلوم العالية ارتياحاً للجهالة والسفالة (ا) .
 ٥٥ - التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة (ا) .
 ٥٦ - الذهول عن تطرق الشرك وشآئمه (ا) .

ثم قال السيد الفرائي : هذه هي خلاصات أسباب الفتور التي أوردتها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يُظن . وحيث كان للخلل الموجود في أصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام ، فإني أضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية ، أعددها من قبيل رؤوس مسائل فقط ، حيث لو أردت تفصيلها وتثريتها لطلال الامر وخرجنا عن صدد محفلنا هذا .

والاسباب التي سأذكرها هي أصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية ، التي هي اعظم دولة يهم شأنها عامة المسلمين . وقد جاءها أكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة ، أي بعد أن اندفعت لتنظيم أمورها ، فعطلت أصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع ، فتشنت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثلثا المملكة ؛ وخرب الثلث الباقي وأشرف على الضياع لفقـد الرجال وصرف السلطان قوة سلطنته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الانفراد .

وأما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً

من بعض هذه الاصول ، كما ان فيها أحوال أخرى أضرّ
وأمرّ يطول بيانها واستقصاؤها . والاسباب المراد الحاقها
ماخصة هي :

الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين:

- ٥٧ - توحيد قوانين الادارة والمقوبات ، مع اختلاف طبائع أطراف المملكة
واختلاف الاهالي في الاجناس والمادات (١) (١).
- ٥٨ - تنويع القوانين الحقوقية ، وتشويش القضاء في الاحوال المتماثلة (١) .
- ٥٩ - التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة
وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على احوال تلك الاطراف
المتباعدة وخصائص سكانها (ف) .
- ٦٠ - التزام أصول عدم توجيه المسؤولية على رؤساء الادارة والولاة عن
أعمالهم مطلقاً (٢) (ف) .

(١) من أم الضروريات أن يحصل كل قوم من أهالي تركيا على
استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم ، كما هي الحالة في امارات
المانيا وولايات أمريكا الشمالية ، وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس
في املاكهم .

(٢) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التنظيمات الخيرية خيراً منها
بعدها ، حيث كان العمال مسئولين لدى حضرة السلطان ثم اطلق سراهم في
عهدنا من كل مسئولية ، الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعلق
بمقوق السلطنة .

٦١ - تشويش الادارة بعدم الالتفات لتوحيد الأخلاق والمساك في الوزراء والولاة والقواد ، مع اضطرار الدولة لاتخاذهم من جميع الاجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف) .

٦٢ - التزام المخالفة الجنسية في استخدام المال بقصد كسر التقام بين العمال والاهالي ، وتعذر الامتراج بينهم لتأمين الادارة غائلة الاتفاق عليها (ف) .

٦٣ - التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت ، كامارة مكة وامارات العنائر الضخمة في الحجاز والموافق والفرات لمن لا يحسن ادارتها ، لأجل ان يكون الامير منفوراً ممن ولي عليهم مكروها عندم فلا يتفقون معه ضد الدولة (١) .

٦٤ - التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالمشيخة الاسلامية والسرعسكرية لمن يكون منفوراً في صنفه من العلماء أو الجند ، لاجل ان لا يتفق الرئيس والمرؤس على امرهم (١) (ف) .

٦٥ - التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في الغنم والفرم (٢) .

(١) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة .

(٢) كعضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال هضبا لانسبة فيه ، لانها مميزة عليهم ، حال كونهم ثاقبي رعيتهما ، كلاً من الجر كس والبشناق والاكراذ والارناؤط والروم والارمن والخروات والبلغار والمربكبر .

وكاستثناء أهل الماصمة والحجاز وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والتكاليف الشرعية والعرفية .
وكاستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية لمجرد كونهم لا يتحملون حالة الضنك التي عليها جيشها .

- ٦٦ - التساهل في انتخاب العمال والمأورين والاكثار منهم بغير لزوم، واما بقصد اعثة العشرة والحاسب والمتملقين للمحين .
- ٦٧ - التسامح في المكافأة والمجازاة تهاوناً بشؤون الادارة حسنت امساءت، كأن ليس للملك صاحب .
- ٦٨ - عدم الالتفات لرعاية المقتضيات الدينية كوضع انظمة مصادمة للشرع بدون لزوم سياسي مهم، أو مع اللزوم ولكن بدون اعتناء بتفسيه لامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضا (١) .
- ٦٩ - تضييع حرمة الشرع وقوة القوانين بالتزام عدم اتباعها وتنفيذها، والاصرار على أن تكون الادارة نظامية اسما ارادية فصلا (٢) .
- ٧٠ - التهاون في مجازاة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجابا لمحبتهم القلبية فوق طاعتهم الظاهرية .
- ٧١ - النفلة أو التفاؤل عن مقتضيات الزمان ومباراة الجيران وترقية السكان بسبب عدم الاهتمام بالمستقبل .
- ٧٢ - الضغط على الافكار المنبهة بقصد منع نموها وسموها واطلاعها على مجاري الادارة ، محاسنها ومعايبها ، وان كان الضغط على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ، ويتأتى منه الاغراء والتحفيز وينتج عنه الحقد على الادارة .
- (١) كاستخدام اليهود قابضي مال أي أمناء صناديق، وقابضي اعشار السوائم، وفي ذلك عدم رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط الزكاة عن الدافعين ، وكاستخدام قضاة بالرسوم او برواتب جزئية جداً .
- (٢) تعطيل بعض احكام الشرع كالف تحرق حرمة، واما الاحكام النظامية فمع كسرتها البالغة عشرات الوف فضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها الا بمض ما يتعلق بسلب الاموال .

٧٣ - تمييز الاسافل اصلا واخلاقا وعلما وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم على اصحاب المزايا ، وهذا التهاون بشأن ذوي الشؤون يستلزم تسفل الادارة .

٧٤ - ادارة بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة ، وجزاف بدون موازنة ، واسراف بدون عتاب ، واتلاف بدون حساب ، حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلادا ورقابا ودماء وحقوقا .

٧٥ - ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة الرعية ولاقبول مناقشة فيها . وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون .

٧٦ - ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطلعين على مسايبها خذراً من أن ينفثوا ما في الصدور فتعلم العامة حقائق الامور ، والعامه من اذا علموا قالوا واذا قالوا فعلوا وهناك الطامة الكبرى .

٧٧ - ادارة السياسة الخارجية بالتزلف والارضاء والمحابة بالحقوق والرشوة بالامتيازات والنقود ، تبذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعامهم عن المشاهد المؤلة التخريبية ، وصبرهم على الروائح المنتنة الادارية . ولولا تلك المشاهد والروائح لما وجد الجيران وسيلة للضغط مع ما القاه الله بينهم من العداوة والنغضاء الى يوم القيامة .

ثم قال السيد الفراني : ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها ، هي أمراض قديمة ملازمة لادارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون ، وبعضها اعراض وقتية تزول بزوال محدثها ، وربما

كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والعياذ بالله من القلب
كما اشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول^(١) .
تم قال : ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى أفصلها
بعد تعدادها الحاقا بالخلاصات . وهي :

أسباب شتى :

- ٧٨ - عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة .
- ٧٩ - الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شؤون الحياة .
- ٨٠ - الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات .
- ٨١ - الفرارة عن الادعان للاتقان .
- ٨٢ - الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد .
- ٨٣ - ترك الاعتناء بتعليم النساء .
- ٨٤ - عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات .
- ٨٥ - الخور في الطبيعة ، أي سقوط المهمة .
- ٨٦ - الاعتزال في الحياة والتواكل .

(١) اشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ المكي في خطابه الاول للحالة السيئة
في الحجاز من فقد الامن في بلد الله الامين ، والجور الفظيع الذي يقع على اهل
الحرمين وزوارها من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والمسكرية ،
وغير ذلك من الاحوال التي لاتطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج ، لاسيما
الداخليين تحت سلطة الاجانب وهم السواد الأعظم من المسلمين . ولا غرو أن
هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون ادارة الحجاز ،
لاجل حصولهم على الامن والراحة ، وحينئذ لا قدر الله يتفانى العرب دون
حفظ بيضة الاسلام كأنها نواقبلا وخدم في دفع الصليبيين عن المسجد الانصى .

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية ، فله شأن عظيم
كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعظم الملوك الموفقين
والقواد الفاتحين كالاسكندرين ، وعمر وصلاح الدين رضي الله عنهما ،
وجنكيز والفتاح وشركان الالماني وبطرس الكبير وبونابرت ،
لم يفوزوا في تلك العظام الا بالعزائم الصادقة مع مصادقة تطابقهم
مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً ، بحيث
كانوا رؤوساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جعل على جسم ثور
أوبالعكس . وهذا التطابق وحده يجعل الامة تعتبر رئيسها رأسها ،
فتتقانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها ، حيث
لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المتنبى :

انما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لاخلاف فيه أن من أم حكمة الحكومات أن تتخلق
بأخلاق الرعية ، وتتحد معها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد
غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من ان تجاري الحكومة الاجنبية
أخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً ، الى ان توفق لاجتذابهم الى لغتها
فأخلاقها فجنسيتها ، كما فعل الامويون والعباسيون والموحدون ،
وكما تهتم به الدول المستعمرة الافرنجية في هذا العهد ، وكما فعل جميع

الاعاجم الذين قامت لهم دول في الاسلامية كآل بويه والسلجوقيين
والايويين والغوريين والامراء الجراكسة وآل محمد علي ، فانهم
مالبثوا أن استعربوا وتخلقوا باخلاق العرب، وامتزجوا بهم
وصاروا جزءاً منهم. وكذلك المغول التاتار صاروا فرساً وهنوداً،
فلم يشذ في هذا الباب غير المغول الاتراك أي العثمانيين ، فانهم
بالمكس يفتخرون بحفاظتهم على غيرية رعاياهم لهم ، فلم يسموا
باستراكمهم كما أنهم لم يقبلوا أن يستعربوا ، والمتأخرون منهم قبلوا
ان يتفرنسوا أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بغضهم
للرب كما يستدل عليه من أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى
الإمثال في حق العرب :

كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديلنجي عرب) أي العرب
الشحاذين .

واطلاقهم على المصريين (كور فلاح) بمعنى الفلاحين
الاجلاف .

(عرب جنكته سي) أي نَوْرُ العرب . (و) قبطي عرب)
أي النور المصريين .

وقولهم عن عرب سوريا: (نه شامك شكري ونه

عربك يوزي) أي دع الشام وسكرياتها ولا تروجوه العرب .
وتعبرهم بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان اسود.
وقولهم (بسْ عرب) اي عربي قدر .
و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي صغير . و(عرب طبعي)
أي ذوق عربي اي فاسد . و(عرب جكه سي) أي حنك عربي أي
كثير الهزر .

وقولهم (بوني يارسه م عرب اوله يم) أي ان فعلت هذا
أكون من العرب .

وقولهم (زده عرب زده طنوره) أي أين العرب من الطنبور .
هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمتين الأولى
هي قول العرب فيهم : (ثلاث خلقن للجور والفساد: القمل والترك
والجراد) .

والكلمة الثانية تسميتهم بالاروام كناية عن الريبة في
اسلاميتهم ، وسبب الريبة ان الأتراك لم يخدموا الاسلامية بغير
اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر اسمائهم على
منابرها لم تقم .

وأنهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء، وبخشية الفلك
أبي المصائب، وباحترام مواعد النيران (اوجاقات) فزادوا بذلك بلات
في طين الخرافات .

ثم قال السيد الفراهي: أرجو المذرة من المولى الرومي لانه يعلم
أنى ما أفرطت، ولولا الضرورة الدينية التي يعلمها لما صرحت، والناصح
الغيور من يبكيك لا من يضحكك .

قال الاستاذ الربؤسى : ان أخانا السيد الفراهي خطيب قوال
وفارس جوال، والابحاث التي اشار اليها ذات ذبول طوال مع
أن اليوم قد قرب وقت الزوال، فوعدنا غد ان شاء
المولى المتعال .

الاجتماع الثامن

يوم الخميس الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية، وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق على العادة المألوفة، وأذن الاستاذ الرئيس للسيد الفراتي بآتمام بحثه .

فقال السيد الفراتي : ان من اعظم أسباب الفتور في المسلمين غرار ترهم ، أي عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فيهم من يرشدهم الى شيء من ذلك ، بخلاف الامم السائرة فان من وظائف خدمة الاديان عندهم رفع الغرارة ، أي الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة. واما الاقوام الذين ليس عندهم خدمة دين، أو الشراذم الذين لا ينتهون لخدمة دينهم ، فمستغنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو : التربية المدرسية ، والأتخذ من كتب الاخلاق ، وكتب تدبير المنزل ، ومفصلات فن الاقتصاد، والتواريخ المتقنة، والرومانات

الاخلاقية والتمثيلية ، أي كتب الحكايات الوضعية ، ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين .

على ان الخاصة السالمين من الفرارة علما ، لايقوون غالبا على العمل بما يعلمون لاسباب شتى، منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الاولى وقت الطفولة والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة،^(١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم للاستمرار على نظام مخصوص في معيشتهم .

ثم قال: لأرى لزوما للاستدلال على استيلاء الفرارة علينا لانها مدرّكة مسلمة عند الكافة ، وهي ما ينطوي تحت اجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا: أن المسلم مصاب ، وان الله اذا أحب عبدا ابتلاه ، وان اكثر أهل الجنة البئله ، وان حسب ابن آدم لقيات يقمن صلبه ، وان غيرنا مستدرجون ، وانهم كلاب الدنيا ، وانهم اعطوا ظاهرا من الحياة الدنيا ، وانهم في غفلة من الموت ، وغفلة عن أن الدنيا شاخت .

ثم قال : فن الفرارة في طبقتنا كافة من الملوك الى الصماليك
اننا لانرى ضرورة للاتقان في الأمور ، وقاعدتنا ان بعض الشيء
(١) كما يتربى أولاد اكثر امرائنا على ايدي الالات او الخادمت
وما ادراك ما تلك الحيوانات .

يعني عن كليه . والحق ان الاتقان ضروري للنجاح في أي أمر كان ، بحيث اذا لم يكن مستطاعا في امر ، يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحول عنه الى غيره من المستطاع فيه ايفاء حق الاتقان .

ومن (الغرارة) وهمنا أن شوون الحياة سهلة بسيطة، فنظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به، فيقدم أحدنا مثلاً على الامارة بمجرد نظره في نفسه أنه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الادارة علماً، وتمرن عليها عملاً، ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر مناعلي الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب ، بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حملة قربة وقدحا وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ، ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل اتقان ذلك عمن يرشده مثلاً الى ضرورة النظافة له في قرفته وقدحه وظواهر هيئته ولباسه ، وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه ويوهم بصفائه ليشهي به ، ومتى يغلب العطش ليقصد المجتمعات ، ويتحرى منها الخالية له عن المزاحمين ، وكيف يتزلف للناس ويوهم بلسان حاله أنه محترف بالاسقاء كفتاً لنفسه عن السؤال . الى نحو هذا من دقائق اتقان

الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها، وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن (الغرارة) ظننا أن الكياسة في «أدري وأقدر» جوابا للنفس في مقاصد كثيرة شتى . والحقيقة أن الكياسة لا تحقق في الانسان الا في فن واحد فقط يتولع فيه فيتقنه حق الاتقان كما قال تعالى : (وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) . فالعاقل من يتخصص بعمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره «لا أدري ولا أقدر»، لان الاول يتكلف أعمالا لا يحسنها فتفسد عليه كلها، والثاني يتحرى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنظم اموره ويهنأ عيشه .

فالملك مثلا وظيفته النظارة العامة وانتخاب وزير يثق بأخلاقه، ويعتمد على خبرته في انتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات . فالملك مهما كان عاقلا حكيما لا يقدر على اتقان اكثر من وظيفته المذكورة .

فالملك اذا تفرر وتنزل للتداخل في أمور السياسة او الادارة الملكية أو الامور الحربية أو القضاء، فلا شك أنه يكون كرب بيت يداخل طباخه في مهنته ويشارك بستانيه في صنعته، فيفسد

طعامه ويبور بستانه ، فيشتكي ولا يدري أن آفته من نفسه .
ومن «الفرارة» اللوث في الامور ، أي تركها بلا ترتيب ؛
والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهدا منفرداً في كهف جبل ،
فضلا عن سائس رعية او صاحب عائلة ، ان يتخذ له ترتيباً في شؤونه
وذلك بأن يرتب :

اولو - اوقاته حسب أشغاله ، ويرتب أشغاله حسب اوقاته .
والشغل الذي لا يجد له وقتاً كافياً يهمله بالكلية أو يفوضه لمن يفي حق
القيام به عنه .

ثانياً - يرتب نفقائه على نسبة المضمون من كسبه ، فان ضاق
دخله عن المبرم من خرجه يغير طراز معيشته، ولو بالتحول مثلاً من
بلده الغالية الاسعار او التي مظهره فيها يمنعه من الاقتصاد الى حيث
يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

ثالثاً - يرتب تقليل عائلة عائلته عند اول فرصة، ملاحظاً اراحة
نفسه من الكد في دور المعجز من حياته ، فيربي اولاده ذكورا
واناثاً على صورة ان كلا منهم متى بلغ أشده يمكنه ان يستغني عنه
بنفسه ، معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

رابعاً - يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية ، أعني

يرتب أموره الدينية ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً،
فلا يحتمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

فحاشاً - يرتب ميله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده
الحقيقي . فلا يترك نفسه تتناول الى مقامات ليس من شأن قوته
المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ أي الصدف .

وخلاصة البحث أن الفرارة من أقوى اسباب الفتور ،
وقد أطلت في وصفها وايضاها ليتأكد عند السادة
الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي ليس من عقيمت
الامور .

ثم قال : ان لانهلال أخلاقنا سبباً منها آخر ايضاً يتعلق بالنساء،
وهو تركهن جاهلات على خلاف ما كان عليه أسلافنا ، حيث كان
يوجد في نساءنا كأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها التي أخذنا عنها
نصف علوم ديننا ؛ وكثات من الصحابيات والتابعيات راويات
الحديث والمتفقيات ، فضلا عن الوف من العالمات والشاعرات
اللاتي في وجودهن في العهد الاول بدون انكار ، حجة
دامنة ترغم أنف غيرة الذين يزعمون ان جهل النساء أحفظ لعفتن ؛
فضلا عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون ، حتى يصح الحكم

بأن العلم يدعو للفجور وأن الجهل يدعو للعفة؛ نعم ربما كانت العالمة أقدر على الفجور من الجاهلة ، ولكن الجاهلة أجسر عليه من العالمة .

ثم ان ضرر جهل النساء وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات أمر واضح غني عن البيان . انما سوء تأثيره على اخلاق الأزواج فيه بعض خفاء يستلزم البحث ، فأقول :

ان الرجال ميالون بالطبع الى زوجاتهم، والمرأة أقدر مطلقاً من الرجل في ميدان التجاذب للاخلاق ، ولا يتوهم عكس ذلك الا من استحکم فيه تغرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته . حال كون حقيقة الامر أنها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت ، وتعتبر آخر يعرفه أنه امامها وهي تتبعه ، فيظن انه قائد لها ، والحقيقة التي يراها كل الناس من حولها دونه أنها انما تمشي وراءه بصفة سائق لا تابع .

وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية ، حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصرأ لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل ، فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب ، وعدم الاجتماع بهم في خلوة او غير لزوم . وأمرت

باستقرارهن في البيوت الالهاجة. ولا شك انه ما وراء هذه الحدود
الافتح باب الفجور، وما هذا التحديد الا مرحمة بالرجال وتوزيعاً
لوظائف الحياة .

والصينيون، وهم أقدم البشر مدنية، التزموا تصغير أرجل
البنات بالضغط عليها لاجل ان يسر عليهن المشي والسعي في افساد
الحياة الشريفة . ذاك الشرف الذي هو من أهم مقاصد الشرقيين،
بخلاف الغربيين الذين لا يهتمهم غير التوسع في الماديات والملذات .
وقد امرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج، وذلك أيضاً
مرحمة بالرجال. واكثر الأئمة المجتهدين أغفلوا لزوم تحري الكفاءة في
جانب المرأة للرجل، وأوجبوا ان يكون هو فقط كفواً لها كي
لا تهلكه بفخارها وتحكمها. على ان لرعاية الكفاءة في المرأة للرجل
أيضاً موجبات عائلية مهمة منها : التخير للاستسلام والتخير لتربية
النسل، وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن.
لان التزوج بمجهولات الاصول او الاخلاق، أو بسافلات الطباع
والعادات، او بالغربيات جنساً أو الرقيقات، مفسد شتى . لان
الرجل ينجر طوعاً أو كرهاً لاخلاق زوجته، فان كانت سافلة
يتسفل لامحالة، وان كانت غريبة بغضته في اهله وقومه، وجرته

الى الموااة قومها والتخلق بأخلاقهم. ولا شك أن هذه المفسدة تستحكم
في الاولاد أكثر من الأزواج .

وربما كان أكبر مسبب لانحلال أخلاق الامراء من المسلمين
أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات ، اذ كيف يرجى
من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة^(١) أن تترك بعلمها ، وهو في
الغالب اطوع لها من خلخالها ، أن يجيب داعي شهامة أو مروءة .
او ان تغرس في رؤوس صبيتها أميالا سامية، او تحمسهم على اعمال
خطرة ، كلا لا تفعل ذلك ابدا . انما تفعله الشريفات اللاتي تجدن في
أنفسهن عزة وشهامة^(٢) وهذا هو سر ان اعظم الرجال لا
يوجدون غالباً الا من ابناء وبعول نسوة شريفات او بيوت
قروية . وهذا هو سبب حرص امراء العرب والافرنج على شرف
الزوجات .

ثم قال السيد الفرابي ايضا : واني ارى ان هذا الفتور بالغ في
غالب اهل الطبقة العليا من الامة ولاسيما في الشيوخ مرتبة (الخور
(١) كالكرجيات والارمنيات والرقيمات الجر كسيات امهات اكثر
الامراء وزوجاتهم .

(٢) كبنات بيوت المجد الحريصات على الفخر ، وبنات اهل البادية
والقرى الايبات النفوس .

في الطبيعة) لاننا نجدهم: ينتقصون أنفسهم في كل شيء، ويتقاصرون
عن كل عمل، ويحجمون عن كل اقدام، ويتوقعون الخيبة في
كل أمل .

ومن أقبح آثار هذا الخور نظرم الكمال في الاجانب كما ينظر
الصبيان الكمال في آباءهم ومعلميهم ، فيندفعون لتقليد الاجانب
وآباعهم فيما يظنونه رقة ووظرافة وتمدناً. وينخدعون لهم فيما يغشونهم
به : كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به ، فمنهم من
يستحي من الصلاة في غير الخلوات . وكاهمال التمسك بالعادات
القومية ، فمنهم من يستحي من عمامته . وكالبعد عن الاعتزاز
بالعشيرة كأن قومهم من سقط البشر. وكنبذ التحزب للرأي كأثمهم
خلقوا قاصرين . وكالنفلة عن اثار الاقربين في المنافع . وكالقفود
عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يُشتم من ذلك رائحة التعصب الديني
وان كان على الحق. الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الخور من
المسلمين ، الحميدة في الاجانب ، لان الاجانب يعوون عليهم بانهم
يحسنون التحلي بها دونهم .

وهؤلاء الواهنة يحق لهم ان كُشِقَّ عليهم مفارقة حالات
الفوها عمرهم ، كما قد يألف الجسم السقم فلا تلذ له العافية. فانهم منذ

نومة أظفارهم تلمسوا الادب مع الكبير، يقبلون يده أو ذيله اورجله،
والفوا الاحترام فلا يدوسون الكبير ولوداس رقابهم . والفوا
الثبات ثبات الاوتاد تحت المطارق . والفوا الانقياد ولو الى المهالك .
والفوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون النبات ، ذلك يتناول وهم
يتقاصرون ، ذلك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت
مشتاقون .

وهكذا طول الالفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق،
وجعل عندهم لمخازي مفاخر؛ فصاروا يسمون التصاغر أدبا،
والتذلل لطفًا، والتملق فصاحة، واللكنة رزانة، وترك الحقوق
سماحة، وقبول الاهانة تواضعًا، والرضاء بالظلم طاعة . كما يسمون
دعوى الاستحقاق غرورًا، والخروج عن الشأن الذاتي فضولًا ،
ومد النظر الى الغد املا، والاقدام تهورا، والحمية حماقة، والشهامة
شراسة، وحرية القول وقاحة، وحب الوطن جنونا .

ثم قال : وليعلم ان الناشئة الذين تعقد الامة آمالها باحلامهم
عسى يصدق منها شيء ، وتعلق الاوطان بحبال هماتهم عسائم يأتون
فعلا مذكورا، هم أولئك الشباب ومن في حكمهم المحمديون المهذبون،
الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون

بدينهم فيحرصون على القيام بمبانيه الاساسية نحو الصلاة والصوم،
ويتجنبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات . الذين لا
يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نحرها الدهر ، ولا يرضون
أن يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف، الذين يعلمون
انهم خلقوا احرارا فيا بون الذل والاسار . الذين يودون ان يموتوا
كراماً ولا يحيون لثاماً، الذين يجهدون ان ينالوا حياة رضية ، حياة
قوم كل فرد منهم سلطان مستقل في شؤونه لا يحكمه غير الدين ،
وشريك امين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والهناء ، وولد بار
بوطنه لا يبخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين
يحبون وطنهم حب من يعلم انه خلق من ترابه . الذين يعشقون
الانسانية ويعلمون ان البشرية هي الع-لم والبهيمية هي الجهالة . الذين
يعتبرون ان خير الناس انفسهم للناس . الذين يعرفون ان القنوط
وباء الآمال والتردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر
هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أثر هو
من عمل أمثالهم البشر ، فلا يتخيلون الا المقدرة ولا يتوقعون من
الاقدار الا خيراً .

وأما الناشئة المتفرنجة فلا خير فيهم لانفسهم فضلاً عن ان

ينفعوا أقوامهم وأوطانهم شيئاً وذلك لأنهم لآخلاق لهم، تجاذبهم
الاهواء كيف شاءت، لا يتبعون مسلماً ولا يسرون على ناموس
مطرد، لأنهم يحكمون الحكمة فيفتخرون بدينهم ولكن لا يعملون
به تهاونا وكسلاً^(١). ويرون غيرهم من الأمم يتباهون بأقوامهم
ويستحسنون عاداتهم وميزاتهم فيميلون لمناظرتهم، ولكن لا
يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعاً^(٢). ويجدون الناس
يعشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشييب والاحساس فقط،
دون التشبث بالأعمال التي يستوجبها الحب الصادق.

والحاصل ان شؤون الناشئة المنفرجة أيضاً لا تخرج عن
تذبذب وتلون ونفاق، يجمعها وصف: «لآخلاق لهم». والواهنة خير
منهم، متمسكون بالدين ولو رياء، وبالطاعة ولو عمياء، على أنه يوجد

(١) أكبر ما يشق عليهم ويتكاسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين،
ولنخاطبهم بلسانهم فنقول ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه
ويتان بدقيقتين أو ثلاث، وافعال الصلاة هي عين (الجنستيك) واكمل منه لانها
موزعة ولا تستغرق الر كمة منها اكثر من دقيقة، فأطول صلاة تطول عشر دقائق.
بناءً عليه فليكن على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم، اللذين لو لم
يكن فيها حكمة غير انها شعار يعرف بها المسلم اخاه لكفى.

(٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في
اللباس. وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازن.

في المنقرنجة افراد غيرورون كالراسخين من احرار الاراك، المتهبين
غيرة تقتضي احترام مزيتهم .

ثم قال السيد الفرائي : ان الخور المبحوث فيه علة معدية تسري من
الشيوخ الى الشباب ومن الطبقة العليا الى العامة . وليت الشيوخ
والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة ، والخول
وسقوط الهمة ، والدناءة والاستسلام، فيتركوا اهل النشأة الجديدة
وشأنهم، لا يستهزؤن ولا يعطلون ، ولا يسفهنون ولا شبطون . وما
أظنهم بفاعلين ذلك ابدا الا ان تصدى لهم جرائد مخصوصة
تقابلهم باللوم والتبكيث، وتساطع عليهم أقلام الادباء والسنة الشعراء ،
بوضع أهاجي وانايد بمبائر بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي
تنتشر حتى على السنة العامة . وبمثل هذا التدبير شور حرب أدبية
بين الناشئة والواهنة، لانتلبث ان تنهي بانكسار الفئة الثانية :
أولئك البائسين الفاشلين ، المتواكلين ، المتقاعسين ، المتخاذلين ،
المتشاكسين ، العاجزين عن كل شىء الا التعطيل .

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي
جددت عصبيتها، يجد من حكماؤها ونجباؤها مثل حسان قريش وكيت
العباسيين ، ولوثر الالمانيين وفولتر الفرنساويين ، قد تغلبوا على

واما اليوم فقد حل اوان الانصراف .

بادر السيد الفراتي، وفرق على كل واحد من اعضاء الجمعية

نسخة من سائحة القانون فأخذوها وتفرقوا .

الاجتماع التاسع

ويتبمه الاجتماع العاشر والحادي عشر

يوم السبت السابع والعشرين من ذى القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط ومفاوضات اليوم السابق حسب الاصول المرعية. قال الاستاذ الرئيس : انا نقرأ اليوم قانون الجمعية ، وقد علم الاخوان من مطالعة السأحة التي وضعتها اللجنة، ان هذا القانون هو الان في حكم قانون مؤقت، الى ان تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها . فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه على الموجبات والتجربات، ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه، فاذا أمضته صار حينئذ قانونا راسخا .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة ، حتى اذا كان لاحد الاخوان ملاحظة على بعض الفقرات منه فليبد لها عند قراءتها ، وبعد المناقشة اما تقبل أو ترد او تعدل بالاكثرية . وعلى كل حال

تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا يرجع
اليه عند اللزوم .

ثم امر الاستاذ الرئيس بقراءة سائحة القانون فقرئت ، وجرت
على بعض القضايا وبعض الفقرات منها مناقشات ، وتولى المدقق
التركي رئيس اللجنة اعطاء الايضاحات اللازمة عن المقاصد التي
لا حظتها اللجنة فيه ، فقبل اكثر قضاياه وعدل بعضها ، وضبطت
المناقشات على حدة .

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم ، وكذلك
جلسة الاجتماع العاشر المنعقد يوم الاحد الثامن والعشرين من الشهر ،
وجلسة الاجتماع الحادي عشر المنعقد مساء الاحد أي ليلة الاثنين .

الاجتماع الثاني عشر

يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها .
امر الاستاذ الرئيس بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات
الثلاثة السابقة متنا مجردا فقرى وهذه صورته :

قانون جمعية تعليم الموحدين

المقدمة

قد تقرر في الجمعية المنمقدة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة
ست عشرة وثلاثمائة والفر المسماة (جمعية ام القرى)، النتائج الآتية :

- ١ - المسلمون في حالة فتور مستحکم عام.
- ٢ - يجب تدارك هذا الفتور سريماً، والافتنحل عصبيتهم كلياً .
- ٣ - سبب الفتور تهاون الحكام، ثم العلماء، ثم الامراء.

- ٤ - جرثومة الداء الجهل المطلق .
- ٥ - اضر فروع الجهل : الجهل في الدين .
- ٦ - الدواء هو : اولاً تنوير الافكار بالتعليم ، ثانياً ايجاد شوق للترقي في رؤوس الناشئة .
- ٧ - وسيلة المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية .
- ٨ - المكلفون بالتدبير هم حكام ونجباء الامة من السراة والعلماء .
- ٩ - الكفاءة لازالة الفتور بالتدريب موجودة في العرب خاصة .
- ١٠ - يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم : (جمعية تعليم الموحدين) .

الفصل الاول

في تشكيل الجمعية

قضية « ١ »

تشكل الجمعية من مائة عضو . منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون
وثمانون غفريون ، ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتعين عددهم .

قضية « ٢ »

يجب ان يكون الاعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي :

- ١ - سلامة الحواس ، وكون السن بين الثلاثين والستين ابتداءً .
- ٢ - الاسلامية ، من أي مذهب كان من مذاهب اهل القبلة .
- ٣ - العدالة ، بحيث يكون غير متجاهر بمصيبة شرعية اجماعية ، ولا متلبس او معروف بخلة منافية للمروءة .
- ٤ - المزينة بعلم او جاه أو ثروة (١) .
- ٥ - الكتابة باتقان ، في لغة ما ولو عامية .

(١) ايس المقصود من الثروة ذاتها بل اعاتها - احبها على بمض
الاخلاق الشريفة .

٦ - النشاط ، بأن يكون ذا همة ونجدة وحمية .

قضية « ٣ »

يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على
ما سبق وهي :

- ١ - القدرة على التكلم والكتابة بالمرية .
- ٢ - امكان الاقامة ثمانية أشهر في مركز الجمعية وهي ماعدا ذا الحجة ومحرمًا
وصفرًا وشهر ربيع الاول .
- ٣ - تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ماعدا
الجمعة والاعياد .
- ٤ - تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

قضية « ٤ »

يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي :

- ١ - القدرة على الكتابة في احدى اللغات الاربع وهي العربية والتركية
والفارسية والاوردية .
- ٢ - الاستعداد لمراسلة الجمعية باحدى هذه اللغات الاربع في كل شهر مرة
بمقالة او رسالة او فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية
او هو يتخيره ، والجمعية تستصوبه وتقرره .

٣ - الاذعان لانتقادات وتقييدات الجمعية وتصحيحها (١) .

« ٥ » قضية

تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في اوائل ذي القعدة يدعى اليها جميع الاعضاء حتى المتسبون ، فيحضرها الاعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين .

« ٦ » قضية

الجمعية العامة ، بالمذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة ، تميز أولاً المرشحين للهيئة العاملة ، ثم المرشحين للهيئة المستشارة .

« ٧ » قضية

الهيئتان العاملة والمستشارة تجتمعان ، بالمذاكرة واكثرية الثلثين تميزان اولاً المرشحين منها للرياسة ، ولنيابة الرياسة ، وللكتابة الاولى ، وللكتابة الثانية ، ولامانة المال . ثم تنتخبان من المرشحين رئيساً لاجل سنة ، ونائب رئيس لاجل سنتين ، وكاتباً أولاً لاجل ثلاث سنين ، وكاتباً ثانياً ، وأمين مال لاجل أربع سنين .

(١) قضية مؤقتة :

يتبدى تشكيل الجمعية حسباً يتسهل للمؤسس ، وهو يرأسها مؤقتاً ، وله ان ينوب عنه من يشاء . وعندما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدراً كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العامة والهيئة المستشارة .

« ٨ » قضية

الهيئة العامة والمستشارة يدققون صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين او المحترمين ، ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون .

« ٩ » قضية

للهيئة العامة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع حالة منه تستوجب ذلك ، وتحقق خفيا ، وتصديق بأكثرية الثلثين .

« ١٠ » قضية

الجمعية العامة تقوم بابع وظائف وهي :

- ١ - تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية .
- ٢ - تدقيق حساباتها الماضية .
- ٣ - تقرير ما يلزم التثبيت به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية .
- ٤ - تقرير نفقات السنة القابلة

« ١١ » قضية

المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة ، ولها شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وتفليس وطهران وخبوه وكابل وكلكتة ودهلي وسنكابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة .

« ١٢ » قضية

يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً .
وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا ماليتها وجزئيات امورها . فان لها الخيار
ان تكون مستقلة المالية والادارة .

« ١٣ » قضية

تشكل الشعبات على التراخي ، ويمطى للبعض المناسب الموقع منها هيئة
تصلح معها لان تتخذ عند ميسر الحاجة هي المركز الاصلي (١) .

(١) قضية مؤقتة :

المركز يكون في السنين الاولى للجمعية في بور سعيد او الكويت . ثم ينتقل
الى مكة بعد الرسوخ او عند اقامة مراكش وافنان ويران وغيرها وكالات
سياسية لها في مكة . وعلى كل حال يكون للجمعية يد قوية في مكة ولو خفية .

الفصل الثاني

في بابي الجمعية

قضية « ١٤ »

الجمعية لاتدخل في الشؤون السياسية مطلقا فيما عدا الارشادات واطارات
بمسائل اصول التعليم وتعميمه .

قضية « ١٥ »

ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة او مرتبطة بحكومة مخصوصة ،
على انها تقبل المعاونة او المعاوضة من قبل السلاطين العظام والامراء الفخام
المستقلين والتابعين بصفة حماة فخرين .

قضية « ١٦ »

لا ينتسب الجمعية الى مذهب او شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام
مطلقا .

قضية « ١٧ »

توفق الجمعية مسلكها الديني على المشرب الساني المعتدل ، وعلى نبذ كل

زيادة وبدعة في الدين ، وعلى عدم الجدال فيه الا باتي هي أحسن .

قضية « ١٨ »

يكون شعار الجمعية القولي : (لانعبد الا الله) . وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة . ووجهها : (الفيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) . وأهم اعمالها (تعليم الاحداث وتهذيبهم) تراجع قضية ٤٦ و٤٧ و٤٨

قضية « ١٩ »

أعضاء الجمعية لا يتكفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية ، أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم إلا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية .

قضية « ٢٠ »

تتكفل الجمعية باعاشة عدد مخصوص من أصحاب المزايا العلمية الخاصة ، او العزائم الخارقة العادة ، بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم او شبهين بالمجردين .

الفصل الثالث

في مالية الجمعية

قضية « ٢١ »

- نققات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع :
- ١ - اكمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهبا انكليزيا لكل واحد في السنة .
 - ٢ - رواتب الكتاب والمترجمين والخدم .
 - ٣ - اجرة محلات المركز والشعب غير المستقلة مالياً .
 - ٤ - مصاريف البعث المتجولة .
 - ٥ - مصاريف المطبوعات .
 - ٦ - مصاريف التحرير والتأليف .
 - ٧ - مصاريف البريد والمخابرات .
 - ٨ - كفاية المكفول أعاشتهم المذكورين في القضية (٢٠)
 - ٩ - المصاريف المتفرقة .

قضية « ٢٢ »

تعتمد الجمعية في الحصول على نققاتها على جهتين فقط: النصف من ربح

مطبوعات الجمعية ، أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقدمة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه ، والنصف الآخر من اعانات اصحاب الجمعية والنجدة من امرء واغنياء الامة وبعض الاعضاء المحسنين .

« ٢٣ » قضية

امين المال يكون من اغنياء التجار المشاهير المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الاعضاء المستشارين ، ويقوم بهذه الخدمة حسبة لربه ودينه ، ويكون المال في يده بوجه مضمون .

« ٢٤ » قضية

امين المال يعطي وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوما عليها عدد متسلسل ، ومرقما في جانب منها مجموع الوارد وبمجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

« ٢٥ » قضية

امين المال لا يصرف شيئا الا بورقة صرف مطبوعة مرقما عليها عدد متسلسل وموقما عليها من القابض وكاتب الجمعية ورئيسها .

ملاحظة موقنة :

يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف جنيه ذهب انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بندي بال .

الفصل الرابع

في وظائف الجمعية

قضية « ٢٦ »

الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق او اكثرية الثلثين تعيدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداء ، ثم كل ثلاث سنين مرة ، وتنظمان القوانين التي تلتزم؛ ويجب مطلقا أن يكون ترتيب القوانين تابعا لقواعد التروي والتدقيق والتأمين . وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه .

ولا يصير القانون دستورا للعمل الا بعد قراءته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيئتين عند الضرورة تقرير اجراء البعض من احكام تلك القوانين مؤقتا ، ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المحيرة على التعجيل .

قضية « ٢٧ »

يقاظ فكر علماء الدين الى الامور الحمسة الآتية ، وتنشيطهم للسمي في حصولها ومساعدتهم براءة أسهل الوسائل وأقربها وهي :

- ١ - تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمها .
- ٢ - الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمها وتلقيها .

- ٣ - تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد او نوعين من العلوم والفنون لىوجد فى الامة افراد نابغون متخصصون .
- ٤ - اصلاح اصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها ، بحيث يبقى فى عمر الطالب بقية يصرفها فى تحصيل الفنون النافعة .
- ٥ - الجد وراء توحيد اصول التعليم وكتب التدريس .

« ٢٨ » قضية

السعى فى تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب :

- ١ - لتعليم المبتدئين او المكتفين بالمبادئ .
- ٢ - لتعليم المنتهين الطالبين الاتقان .
- ٣ - لتعليم النابغين الراغبين فى الاختصاص .

« ٢٩ » قضية

الاهتمام فى جعل المعلمين والمعلمين على اربع مراتب :

- ١ - العامة ومعلوم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة .
- ٢ - المهذبون ومعلوم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة .
- ٣ - العلماء ومعلوم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية .
- ٤ - النابغون ومعلوم الافاضل المتخصصون .

« ٣٠ » قضية

السعى لدى امراء الامة بمعاملة كافة طبقات العلماء معاملة الاطباء ، اى بالحجر رسماً على من يتصدر للتدريس والافتاء والوعظ والارشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في المواسم .

« ٣١ » قضية

التوسل لدى الامراء ان يعطوا لاحد العلماء الغيورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ، ويجملوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الاهالي . وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بان تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف ، وبتسهيل تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية .

« ٣٢ » قضية

التوسل لنيل العلماء ما يستحقون من رزق وحرمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفتهم وشرفهم (١) .

« ٣٣ » قضية

التوسل لجل اهل الطرائق على الرجوع الى الاصول الملائمة لتشريع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالتقديرية مثلا باعاشة وتعليم الايتام ، وأخرى بمواساة المساكين وانشاء السبيل ، وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين ، وفئة بالتشويق الى الصلاة ، وغيرها بالتنفير عن المسكرات . ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن العطل والتعطيل .

(١) كالتعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو ذلك مما لا يقدم عليه امثالهم في الملل الأخرى .

« ٣٤ » قضية

حمل العلماء والمرشدين وجميعيات الاحتساب على السعي لارشاد افراد الامة ، خصوصاً احداثها ، الى قواعد معاشية و اخلاقية متحدة الاصول تلائم الاسلامية والحرية الدينية ، وتفيد تريض الاجسام وتقوية المدارك ، وتثمر النشاط للسعي والعمل ، وتولد الحمية والاخلاق الشريفة .

« ٣٥ » قضية

تعني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات اخلاقية ملائمة للدين والازمان ، وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام مطولات الصوفية .

وتقوم بوضع مؤلفات اللغة ، وسطى عربية لامضرية ولا عامية ، وجملها لغة لبعض الجرائد والمؤلفات الاخلاق ونحوها مما يهم نشره بين العوام فقط (١) .

« ٣٦ » قضية

تعني الجمعية في حمل العلماء وجميعيات الاحتساب على تعليم الامة مايجب عليها شرعا من المجاملة في المعاملة مع غير المسلمين ، وما تقتضيه الانسانية والمزايا

(١) كالاكتفاء بالسين عن الثاء ، وبالزاي عن الذال ، والاقتصار على التثنية بالياء ، والجمع بالواو والنون ، واقتصر بالالف ، وكقبول الوضع العامي المشهور .

الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه، ورعاية الذمة والتأمين
والمساواة في الحقوق، وتجنب التعصب الديني او الجنسي بغير حق .

« ٣٧ » قضية

تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة
صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام، وتكون مباحثها ثمانية انواع
يخصص لكل بحث قسم منها وهي :

- ١ - مقرارات الجمعية واعمالها وخلاصة المهم من مخبراتها مع شعباتها
- ٢ - مباحث دينية في موضوع سماحة الدين ومزاياه السامية، ودفع مايرمى به
به من مناقاته للحكمة والمدنية .
- ٣ - قواعد أخلاقية ونصائح معاشية .
- ٤ - فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وأراء طرائق
تلقيها وتلقيها .
- ٥ - المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من
فضلاء الامة .
- ٦ - الاخبار والاعلانات المتعلقة بالنهضة العلمية الاسلامية .
- ٧ - الاسئلة والاجوبة المهمة .
- ٨ - مباحث وفوائد شتى .

« ٣٨ » قضية

تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظا فيها اجماع
السلف او الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المدونة المتبعة . وتتمين في المسائل
المهمة الخلافية ان يقرها بعض مشاهير علماء الهداية من المذاهب المختلفة .

« ٣٩ » قضية

تكون قيمة الرسالة ممتدلة قريبة من مصروف تحريرها وطبعا فقط ،
وترسل لكافة المدارس ومشاهير العلماء بدون عوض على حساب
الامراء والمختسين .

« ٤٠ » قضية

تعني الجمعية غاية الاعتناء في ايصال الرسالة الى المرسل اليهم بصورة منتظمة،
وفي ادخالها لكافة البلاد المأهولة بالمسلمين رغما عن كل مانع، وترسل ولو برا
مع رواد على نجائب تخترق آسيا وافريقيا الى اقصاها ، ولا تعمد الجمعية وسائل
كثيرة للايصال .

« ٤١ » قضية

تخصص الجمعية لمنشوراتها واعلاناتها اربع جرائد من اشهر الجرائد
الاسلامية السياسية . (١) عربية في مصر (٢) تركية في القسطنطينية
(٣) فارسية في طهران (٤) اوردية في كلكتة

« ٤٢ » قضية

تسمى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز
الجمعية لاجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم للسياحة والبعوث .

« ٤٣ » قضية

ترسل الجمعية بعوثا جغرافية وعلمية تتجول في البلاد الاسلامية القريبة

والبعيدة الاطلاع على احوال البلاد واهلها من حيث الدين والمارف ، ولا رشادهم الى ! يلزم ارشادهم اليه في ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطعا .

« ٤٤ » قضية

تسمى الجمعية بعد مضي ثلاث سنين من انققادها في اقناع ملوك المسلمين وامرائهم لمقدم مؤتمر رسمي في مكة المكرمة ، يحضره وفود من قبلهم ، ويتراأسهم مندوب أصغر أولئك الامراء ، ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر: السياسة الدينية (١) .

« ٤٥ » قضية

اذا صادت الجمعية معارضة في بعض اعمالها من حكومة بعض البلاد ، ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب . فالجمعية تشذرع اولابالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة واقناعها بحسن نية الجمعية ، فاذا وُفقت لرفع التعتت فيها ، والا فلتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء .

(١) راجع ماورد في اواخر محاوردة الصاحب الهندى والامير المذكورة

بمد هذا القانون .

خاتمة

« ٤٦ » قضية

سياسة الجمعية : جلب قلوب من تتخير جلبهم ببذل المعروف بحياة
فتتحري مواسة الانسان عند مصابه وتنقب عن أم حاجاته او غاياته فتعينه عليها.

« ٤٧ » قضية

مظاهر الجمعية : العجز والمسكنة ، فلا تقاوم ولا تقابل الا باساليب
النصيحة والموعظة الحسنة ، واللاطف وبجمال جهدها من يمادي مقاصدها ،
ولا تلجأ الى الاجاء الا في الضروريات .

« ٤٨ » قضية

قوة الجمعية : الاخلاص في النية . وعمدتها الثبات على العمل . ومسلكتها
تذليل العقبات واحدة فواحدة . وحصنها الدين الخفيف . وسلاحها العلم والتعليم .
وجيشها الاحداث والضعفاء . وقوادها حكما العلماء والامراء . ورايتها القدوة
الحسنة . وغنيمة بث الحياة في الموحدين . وغايتها خدمة المدنية والانسانية .
وثمره أعضائها وانصارها لذرة الفكر والفخرو نيل الاجر من الله . - تم القانون -

قال الاستاذ الرئيس : ها نحن اولاء قد استوفينا قراءة القانون

للمرة الثانية ايضا ولم يستدرك عليه احد من الاخوان شيئا ، فهل اتم

مقروه؟ فاجاب جميع الاعضاء: نعم نقره .

قال المعلم المصري: اني بالنيابة عن هيئة الجمعية اشكر لحضرة
الاستاذ المكي براعته في حسن ادارة الجمعية ، كما انني اقدر للمدقق
التركي ورقائه واضعي سائحة القانون قدر فضلهم وحسن احاطتهم .
واني لارى في هذا القانون أشعة نور بين القضايا والسطور ،
نور يشرق على المنارات فيغشى ببدره الالهة ويسهر النور . نور
معقود اللواء لنشأة جديدة وحياة حميدة وعاقبة سعيدة . نور يمزق
ديجور الفتور ويحيي ميت الشعور وما ذلك على الله بعزيز .

قال المحضر العربي: بمناسبة اني جار للنبي صلى الله عليه وسلم أرى
كأن رسول الله مسرور بكم أيها الاخوان الكرام ، يتضرع الى ربه
أن يوفقكم في مشروعكم خدمة لدينه وأمته خدمة تلحقكم بالمجاهدين
الصديقين الاولين .

قال الاستاذ الرئيسي: حيث تقرر ان يكون تأسيس الجمعية
الدائمة ابتداء في بور سعيد او الكويت بصورة غير علنية في الاول،
فارى ان نفوض تعاطي أسباب هذه المهمة للعلامة المصري
والسيد الفراتي، فهما بعد ستة أشهر يجتمعان في مصر، وبعد تهيئة

الاسباب وترتيب ما يلزم ترتيبه يسميان اولاً بطبع هذه المذكرات مع القانون ، ثم يهتمان بترجمة ذلك الى بقية أمهات اللغات الاسلامية التركية والفارسية والاوردية فيطبعاها وينشرانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعها ما يلزم استطلاعها من آراء ذوي الهمم السامية ، يباشران تعاطي اسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمة . وربما لايساعدهما الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الامر الى اجتماعنا الثاني . واخونا السيد الفراتي بعدنا بأنه لايقطع عنا رسائله واعلامنا بسير المسألة . والامل بعنايته تعالى أن نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الدائمة متشكلة على احسن نظام .

ثم قال الاستاذ الرئيس : وأبي على أمل ان الجمعية الدائمة ستلحقنا باعضائها الفخريين ، فنخدم مقاصدها الجليلة المتعلقة باعز اذديننا واخواننا وانفسنا ، فننال بذلك اجر المحسنين وشر فاعظيما نفتخر به نحن واحقابنا من بعدنا الى يوم الدين .

ثم قال : وان جمعيتنا هذه اذا اختارت ان تجعل مركزها الموقت في مصر دار العلم والحرية ، فلها امل قوي في ان حضرة

العزير (عباس الثاني) يكون عضدا للقائمين باعزاز الدين وحميا
نخريا للجمية ، ولا بدع فانه خير امير شاب نشأ على الفيرة الدينية
والحمية العربية . خصوصا جنبه السامي من آل بيت حازوا بين سائر
ملوك الاسلام وامرائها قصب السبق في الاطلاع على احوال الدنيا ،
فاجتهدوا في الترقيات السياسية والعمراية والعلمية والتنظيمية
والمدينة .

حتى ان النهضة العثمانية بكل فروعها مسبوقة في مصر ومقتبسة
عنها . بل كما يعلم العارفون انما تقدمت الدولة العلية العثمانية بعض
خطوات في ميدان المدينة والعمران مدفوعة بايدي المرحومين محمد
علي و ابراهيم وفاضل و كامل وغيرهم من الامراء حتى والاميرات
المصريات ، فما كان رشيدوعالي و قواد و كمال و مدحت و عوني و بقية
احرار الأتراك الا واكثرهم آلات أوجدتها ومدتها بالقوة هؤلاء
العظام . ولا غرو فقد يحمل الابن اباه على الرشد وان اباه .

ولولا تهاون سعيد و تطاول اسماعيل ، و سقوط نفوذ الفرنسيين
بحرب السبعين ، وانفراد الانكليز وياسهم من قبول المريض
التمريض ، و تهاثر قوات الدول بتوازنها ، لبقيت تلك الحركة
مستمرة ولما رجع الشيخ الى دور الانحلال و لا وقع الابن في دور

الاحتلال .

ولهذا لاتفرط الجمعية اذا عقدت الامل في مؤازرة هذا الامر
السهل الخطير بذاك العزيز الشاب الكبير ، اجابة لداعي الحمية وسمو
الفكر واغتناما للثواب ونغز الذكر ، والله الملهم الموفق ونسأله
حسن الختام .

ثم خاطب السير الفراتي هيئة الجمعية فقال : ايها السادة، لاغرو
ان اكون اكثر الاخوان سروراً بآنتاج سعي وسياحتي، هذه الخطوة
الكبيرة في هذا السبيل . واني مستبشر من تسهيل المولى تعالى البداية
ان يسهل السير الى النهاية ، ولا يعز على الله شيء ، والعزائم لاشك
تذلل العظام .

واني ايها السادة سأراسلكم ان شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ،
ولا استغني ان تردفوني بأرائكم ولو عن بعد وتسمعوني بأدعيتكم
بالتوفيق . هذا وليس اليوم آخر عهد جمعيتنا ، بل يلزم ان تجتمع
أيضاً في هذا المحفل رابع ايام التشريق فتكون تلك جمعية الوداع ،
وفيها يكاشفكم حضرة الاستاذ الرئيس عن بعض تدابير وبشائر يجب
إسرارها فتوقر في الصدور لاتسجل ولا تذاع . والى ذلك اليوم يتم
بتسهيل الله طبع سجل مذكرات جمعيتنا الى هذه الساعة (بنطبعة

الجلاتين . فيوزع عليكم نسخ منها كما يعطى لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ، ونسخ جديدة من مفتاح الكتابة الرمزية تبديلا للمفتاح المختصر الاول ، مذيلا بتراجم الاخوان بصورة اكثر تفصيلا من الاولى وعلى الله التيسير .

ثم قال السيد الفراتي : أخبركم ايها السادة باني أخذت بالامس رسالة من اخينا الاديب البيروتي الذي لم يمكنه القدر من موافاة الجمعية كما بينت ذلك قبلا ، فهو يقرئكم السلام ويدعو للجمعية بالتوفيق ، ويطلب ان اتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين .

فقال الاستاذ الرئيس : وعليه السلام وامر بقراءة القصيدة ،

فقرئت وأثبت منها باشارة الاستاذ الرئيس بعض آيات وهي :

| | |
|-----------------------------|---------------------------|
| غيرتمو يا حيارى ما بانفسكم | فغير الله عنكم مابغ النعم |
| الله لا يهلك القرى اذا كفرت | وأهلها مصلحون في شؤونهم |
| ترك التامر بالمعروف اورثكم | ماحق من نذر يازلثة القدم |

الى ان يقول :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| ياقومنا صححوا توحيد بارئكم | بدون اشراك احياء ولا رمم |
| وتقحوا الشرع من حشو ومخترع | رُجعى الى دين اسلاف ذوي ذمم |

خذوا بمحكم آيات منزلة
دعوا البدائع في الدين وان حسنت
سماحة الدين في فكر وفي عمل
سماحة الدين من الله خالقكم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة
راقت فضائلها في كل فلسفة
وسنة جاءتنا بافصح الكلم
ولا يفرنكم تأويل محتمكم
خير من الاصر والاغلال والسقم
بها عليكم، دعوا الكفران بالنعيم
سجاء جاءتمو بكل مقتنم
قوامها حكمة تفضي الى شمم

حتى يقول :

هذي وسيلتكم لاغيرها ابدا
في غير جامعة التوحيد لن تجدوا
سياسة الدين اولى ماتساس به
فيها الحياة وفيها حفظ رايتكم
فاسعوا نهضتكم ياخيرة الامم
من جامع لكم ولستم ذوي رحم
تتى الخلائق من عرب ومن عجم
خضراء سوداء حول الركن والحرم

زبل

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المنعقد في رابع أيام العيد بمض

أمور ينبغي ان تسر ولا تذاع . غير انها رأت أن يلحق منها بهذا
السجل ما يأتي فقط :

قرار عدد (٦)

ان الجمعية ، بعد البحث الدقيق والنظر العميق في احوال
وخصال جميع الاقوام المسلمين الموجودين ، وخصائص مواقعهم ،
والظروف المحيطة بهم ، واستعداداتهم ، وجدت ان لجزيرة العرب
ولا هلهبا بالنظر الى السياسة الدينية بمجموعة خصائص وخصال لم تتوفر
في غيرهم . بناء عليه رأت الجمعية ان حفظ الحياة الدينية متعينة عليهم
لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً ، وأن انتظار ذلك من غيرهم عبث
محض .

على أن لبقية الاقوام ايضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم
مقاما مهما في بعض وظائف الجامعة الاسلامية ، مثل : ان معاناة
حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متعينة على الترك العثمانيين^(١) .
ومراقبة حفظ الحياة المدنية التنظيمية يليق ان تناط بالمصريين . والقيام
بمهام الحياة الجندية يناسب ان يتكفل بها الافغان و تركستان والخزر

(١) لانهم متقنون فن (الدبلوماسية) اي المراوغة في المقال
والتلون في الاحوال .

والقوقاس يمينا ومراكش وامارات افريقيا شمالا . وتدير حفظ
الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها اهل ايران وأواسط آسيا
والهند ومايلها .

وحيث كانت الجمعية لايعنيها غير امر النهضة الدينية ، بناء
عليه رأّت الجمعية من الضروري ان تربط آمالها بالجزيرة وما يليها
واهلها ومن يجاريهم . وأن تبسط لانظار الامة ماهي خصائص
الجزيرة وأهلها والعرب عموما ؛ وذلك لاجل رفع التعصب السياسي
او الجنسي ، ولجل ابضاح اسباب ميل الجمعية للعرب فنقول :

- ١ - الجزيرة هي مشرق النور الاسلامي .
- ٢ - الجزيرة فيها الكعبة المعظمة .
- ٣ - الجزيرة فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة .
- ٤ - الجزيرة أنسب المواقع لان تكون مركزا للسياسة الدينية
لتوسطها بين اقصى آسيا شرقا واقصى افريقيا غربا .
- ٥ - الجزيرة أسلم الاقاليم من الاخلاط جنسية واديانا ومذاهب .
- ٦ - الجزيرة ابعد الاقاليم عن مجاورة الاجانب .
- ٧ - الجزيرة أفضل الاراضي لان تكون ديار احرار لبعدها عن

الظالمين والمزاحمين نظرا لفقرها الطبيعي .

٨ - عرب الجزيرة هم مؤسسو الجامعة الاسلامية لظهور الدين فيهم^(١) .

٩ - عرب الجزيرة مستحکم فيهم التخلق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية أكثر من مناسبتة لغيرهم .

١٠ - عرب الجزيرة أعلم المسلمين بقواعد الدين لانهم اعرقهم فيه، ومشهود لهم بأحاديث كثيرة بالمئانة في الايمان .

١١ - عرب الجزيرة أكثر المسلمين حرصا على حفظ الدين وتأنيده والفضار به، خصوصا والمصيبة النبوية لم تزل قائمة بين اظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والعراق وافريقيا .

١٢ - عرب الجزيرة لم يزل الدين عندهم حنيفا سلفيا بميدا عن التشديد والتشويش .

١٣ - عرب الجزيرة اقوى المسلمين عصبية وأشدهم أنفة لما فيهم من خصائص البدوية^(٢) .

١٤ - عرب الجزيرة أمراءهم جامعون بين شرف الآباء والامهات

(١) وكذلك من يتبعهم من العشائر القاطنة بين الفرات ودجلة والنازحين الى افريقيا .

(٢) وبهوة ذلك لم يزالوا يأخذون خراجا ممن يأخذون باسم هدية .

والزوجات فلم تختل عنّهم .

١٥- عرب الجزيرة اقدم الامم مدنية مهذبة بدليلي : سعة لغتهم ،
وسمو حكمتهم وأديياتهم .

١٦- عرب الجزيرة أقدر المسلمين على تحمل قشف المعيشة في
مسبل مقاصدهم ، وأنشطهم على التغرب والسياحات وذلك
لبعدم عن الترف المذل أهله .

١٧- عرب الجزيرة احفظ الاقوام على جنسيتهم وعاداتهم فهم
يخالطون ولا يختلطون .

١٨- عرب الجزيرة أحرص الامم الاسلامية على الحرية والاستقلال
واباء الضيم^(١) .

١٩- العرب عموماً : لغتهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة
بالقرآن الكريم من ان تموت .

٢٠- العرب لغتهم هي اللغة العمومية بين كافة المسلمين البالغ عددهم
٣٠٠ مليون .

٢١- العرب لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين

(١) هذا سبب عدم انقياد اهل اليمن ومن يليهم للعثمانيين

وغير المسلمين .

٢٢- العرب اقدم الامم اتباعاً لاصول تساوي الحقوق وتقارب
المراتب في الهيئة الاجتماعية .

٢٣- العرب اعرق الامم في اصول الشورى في الشؤون العمومية^(١) .

٢٤- العرب اهدى الامم لاصول المعيشة الاشتراكية .

٢٥- العرب من احرص الامم على احترام العهود عزة ، واحترام
الذمة انسانية ، واحترام الجوار شهامة ، وبذل المعروف مروءة^(٢) .

٢٦- العرب أنسب الاقوام لان يكونوا مرجعاً في الدين وقدوة

(١) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام حيث
قالت مخاطب الملائكة اي المستشارين الاشراف : (يا ايها الملائكة افتوني في أمري
ما كنت قاطمة أمراً حتى تشهدون ، قالوا نحن اولو قوة واولو بأس شديد ،
والامر اليك فانظري ماذا تأمرين ، قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية افسدوها
وجملوا اعزة اهلها اذلة وكذلك يفعلون) .

(٢) يكفي برهاناً على ذلك مجاملة اهل الجزيرة لسواح الافرنج ما عدا
تلك القفلة التي اندفع اليها ابن صباح ونال عليها بعد عامين رتبة باشا . وترجيح
اليهود المحجرة للبلاد العربية . وعدم اشتراك البلاد العربية العثمانية في حوادث
الارمن الاخيرة كالموصل وماردين وسمرقند ونصيبين والمدن العربية من ولاية
حلب . واما حوادث لبنان والشام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة
عن تمصّب ديني او جنسي بل عن غرور جماعة من الدروز بالانكليز وجماعة من
المسيحيين بنابليون الثالث .

للمسلمين حيث كان بقية الاقوام قد اتبعوا هديهم ابتداءً
فلا يأتفون عن اتباعهم اخيراً .

فهذه هي الاسباب التي جعلت جمعية ام القرى ان تعتبر العرب
هم الوسيلة الوحيدة لجمع الكلمة الدينية بل الكلمة الشرقية . والجمعية
تسأل الله تعالى ان يوفق ملوك المسلمين وأمراءهم للتصلب في الدين
وللحزم والعزم عساهم يحفظون عزهم وسلطانهم الى ان يرث الله
الارض ومن عليها ، وان يحميهم من النصب السيء للسياسات
والجنسيات ، ومن الكبر والانفة ، ومن التخاذل والاتقسام ، ومن
الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد ، والافيتنابهم الخطر
القريب المحقق بهم وتتخاطفهم النسور المحلقة في سماهم والله الموفق
واليه ترجع الامور .

وهكذا تمت الاجتماعات وختمت المذاكرات وانفض الجمع
على وعد التلاقي .

لاحقة

يقول السير الفرائي : انه بعد تفرق الجمعية بنحو شهرين ، ورد الي من الصاحب الهندي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقه مكة المكرمة اجتمع بامير جليل فاضل من اعظم نبلاء الامة ورجال السياسة . فاستطلع رأي الامير في خصوص النهضة الاسلامية . وبعد ان دار بينها حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الامير والتهاب غيرته ، ذكر له اطلاعه على سجل جمعية ام القرى واشياء من مذاكراتها ومقرراتها ، فظهر الامير سروره من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له ، فمندذ وعده باعارته نسخة من السجل ثم ارسلها له . وبعد ايام تلاقي افدارت بينها المحاورة الآتية :

قال رومير : اشكرك ايها المولى الصاحب على هذه الهدية العريزة ، وبالذة ليلة احييتها في مطالعة تلك المذاكرات النفيسة التي لم اتمالك ان اتركها تلك الليلة حتى اتيت على آخرها ، ثم في الايام التالية

اعدت النظر فيها بالتدقيق .

قال الصائب : يظهر من عبارة مولاي الامير استحسانه كيفية تشكيل الجمعية وامتنانه من مجرى مذاكراتها .

قال الامير : كيف لا اعجب بذلك ، ولطالما كنت اتنى انعقاد جمعية يتضافر اعضاؤها على مثل هذا المقصد ، وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية الذين حلوا المشكلة حلا سياسيا ودينيا معا ، وكنت استبعد وجودا كفاء كهؤلاء ! واعظم اعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة ، مع اقامته اياما قلائل في مكة ، لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال الصائب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصا في قصده فاعانه الله عليه ، كما ورد في الخبر : اذا اراد الله امرأ هيا اسبابه . فلعل في الاقدار شيئا آن اوانه .

قال الامير : نعم للاقدار دلائل ولنعم البشائر .

قال الصائب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه اعجابه بهذه الجمعية ومذاكراتها لاصحح رأيي في بعض انتقادات تحتلج في فكري القاصر ، فان اذن لي اعرضها عليه مسألة مسألة .

قال الروبر: قل ، ولعلي أقف على ما لم انتبه اليه .

قال الصائب: يظهر ان اعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين ، فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات اكثر احكاما .

قال الروبر: لا اظن ان في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى كعبا في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء ، الذين تشف آراؤهم عن سعة اطلاع وسمو فكر وبعد نظر ، مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العامة والتدقيقات الاخلاقية .

قال الصائب: ارى ان الجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية الموقع الاول ، وقد اصابنا على ان السياسة الادارية ايضا جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف .

قال الروبر: لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضا وقد ابتدأت الجمعية بها ، ولكن رأت أفضل وسيلة لحصول المطلوب هي رفع علة الفتور حيث أنتجت مباحثاتها : أن علة الفتور هي الخلل الديني . بناء عليه حولت اهتمامها لجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المعلول . ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الاسباب الادارية شيئا من امهات اصول الادارة الا وأشار اليه بما ينبغي عن تفصيله .

قال الصائب : ايس بعض الاعضاء كالعالم النجدي والمجاهد
التبريزي قد اسهب كثيرا بما كان بمضه يكفي عن باقيه ؟

قال ابوصير : ان مسألتي التوحيد والاستهداء ركنان مهمان
في الدين ، وقد تطرق اليهما الخلل منذ قرون كثيرة ، فصار اصلاحهما
وردهما الى اصلهما من اصعب الامور . وفي مثل ذلك لا بد من
الاسهاب في البحث والتعمق فيه ، او لا يرى ، والله المثل الاعلى ،
كيف جاء القرآن الكريم بالف اسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد
والحث على اتباع الكتاب والنبى دون التقليد .

قال الصائب اني أرى أيضا بعض مكررات في المذاكرات
خلافًا لما قاله السيد الفراتي ، ولذلك ارى انه لو اهتم ذو غيره في
اختصارها يكون حسنا .

قال ابوصير : اني لا اوافقك على هذا ايضا ، لانك اذا دقت
النظر لا تجد مكررات ، انما هي آراء فلا بد ان يعاد فيها بعض ماسبق ،
وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره
والتصرف فيه . واني ارى من اكبر محاسن هذه المذاكرات ان
جاءت مباحثها متسلسلة مترقية ، فكل موضوع فيها يتلوه ما هو اهم

منه فلا يعمل منها سامع ولا مطالع .

قال الصائب : ما هو رأي مولانا الامير في القانون الموضوع
لاجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين ، هل هو قانون محكم الترتيب ،
وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمنتظرة .

قال ابو سير : القانون هو اهم ما امرته الجمعية ، وقابل الاجراء مع
الصعوبة .

قال الصائب : لا ادري هل اصابت الجمعية ام اخطأت في تعليق
اكبر ام لها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها
العظام .

قال ابو سير : لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة
الدينية فقط ، وتوهم ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ، ولا شك
انه لا يقوم بالهدى الديني وينار على الدين امة مثل العرب .

قال الصائب : أليس ، دولة راسخة الملك ادارة وعسكرية
وسياسة ، وافرة القوى مالا وعدة ورجالا ، تكون أقدر على
تحصيل الدين واعزازة من العرب الضعفاء من كل وجه ؟ وحيث
قد ألفت الامة سماع لقب خدمة الحرمين قديما ولقب اخلافة

اخيراً في حضرة السلطان العثماني ، فلا تستكف عن الاذعان الديني له بسهولة ؟

قال ابومير : ان حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضدا عظيما في الامر ، اما اذا اراد ان يكون هو القائم به فلا يتم قطعياً ، لان الدين شيء والملك شيء آخر ، والسلطان غير الدولة .

قال الصاحب : ما فهمت المراد من ان الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة ، فهل يتفضل مولاي الامير بايضاح ذلك ؟

قال ابومير : اريد ان احترم الشعائر الدينية في اكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة ؛ وليس من غرضهم ، بل ولا من شأنهم ، ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصلحة الملك ، وهذا مرادي بان الدين غير الملك . وعلى فرض ارادتهم تقديم الدين على الملك ، لا يقدرّون على ذلك ، ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم ؛ حيث دولهم مؤلفة من لفيق أهل أديان ونحل مختلفة ؛ كما أن الهيئة التي تتشكل منها الدولة ، أعني الوزراء ، هم كذلك لفيق مختلف الأديان والجنسيات ، وهذا مرادي بان السلطان غير الدولة . بناء عليه ، خدمة الحرمين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى ، كلها لا تنكفي للمرجع في الدين . نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تمضيدهم

وتأييد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم .

قال الصائب : قد وُجد في هذا البيت الكريم بعض اعظم خدموا اعزاز الدين خدمات كبيرة ، كالسلطان محمد الفاتح والسلطان ياوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الحالي المعظم ، فهم اولى وأجدر بالخلافة من غيرهم .

قال الرومير : ارجوك ان لاتنظر للمسألة بنظر العوام ، بل بنظر حكيم سياسي . فابعد النظر ماضياً مستقبلاً ، وقلب صفحات التاريخ بدقة تجد ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتحدا في الاسلام تماماً الا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز فقط رضي الله عنهم . واتخذنا نوعاً في الامويين والعباسيين ، ثم اقرقت الخلافة عن الملك .

واما سلاطين آل عثمان الفخام ، فاني اذكرك انعودنا من اعمال لهم أتوها رعاية للملك ، ون كانت مصادمة للدين ، فاقول : هذا السلطان محمد الفاتح وهو افضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين ، فاتفق سرامع (فردينا د) ملك (الاراغون) الاسبانيولي ثم مع زوجته (ايزابيلا) على تمكينها من ازالة ملك بني الاحمر ، آخر الدول العربية في الاندلس ، ورضي بالقتل العام والاكراه على

التنصر بالاحراق ، وضياح خمسة عشر مليوناً من المسلمين ، باعائتها
باشغاله اساطيل افريقيا عن نجدة المسلمين . وقد فعل ذلك بمقابلة
ماقامت له به روما من خذلان الامبراطورية الشرقية عند مهاجمته
مكدونيا ثم القسطنطينية .

وهذا السلطان سليم غدر بأل العباس واستأصلهم ، حتى انه
قتل الامهات لاجل الاجنة . وبينما كان هو يقتل العرب في الشرق
كان الاسبانيون يحرقون بقيتهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان
ضايق ايران حتى ألجأهم الى اعلان الرفض المكفر . ثم لم يقبل
العثمانيون تكليف نادرشاه لرفع التفرقة بمجرد تصديق مذهب الامام
جعفر ، كما لم يقبلوا من أشرف خان الافغاني اقتسام فارس كي لا يجاورهم
ملك سني .

وقد سعوا في انقراض خمسة عشر دولة وحكومة اسلامية . ومنها
انهم اغروا واعانوا الروس على التآمر المسلمين ، وهو لانددة على الجاوة
والهنديين . وتعاقبوا على تدويح اليمن ، فاهلكوا الى الآن عشرات
ملايين من المسلمين يقتلون بعضهم بعضاً ، لا يحترمون فيما بينهم
دينا ولا اخوة ولا مروءة ولا انسانية ، حتى ان العسكر العثماني
باغت المسلمين مرة في صنعاء والزبيد وهم في صلاة العيد .

وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كسوتهم، وألزم رجال دولته وحاشيته بلبسها حتى عمت او كادت ، ولم يشأ الا تراك ان يغيروا منها الاكمام رعاية للدين لانها مانعة من الوضوء او معسرة له . وهذا السلطان عبد المجيد رأى من مؤيدات ادارة ملكه اباحة الزيا والخمور وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف واذلال السادات بالغاء نفوذ النقابات ، ففعل .

وفي هذا المقدار كفاية ايضاح لقاعدة: ان مؤيدات الملك عند السلاطين مقدمة على الدين . اما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامح العثمانيين للقب الخلافة ، فهذا كذلك لا يفيد الدين واهله شيئاً ، وليس له ما يتوهم البعض من الاجلال عند الاجانب ^(١) .

ولو ان حضرة السلطان المعظم اخذ عليه تأييد الدين بما امده الله به من القوة المادية بدون امتناد الى صبغة معنوية ، لتمكن من ان يخدم دينه وملكه حقاً خدمات مقبولة عند الله ورسوله مشكورة عند المؤمنين كافة . ولرُفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها

(١) الاجانب لا يتفوهون بان السلطان خليفة الا عندما يريدون ان يقيموا الحججة على المسلمين المحكومين لهم ببعض اعماله في ملكه .

واحترمه الابيض والاحمر ، وعظمه المسلم والكافر . واظنه قد قرب
اليوم الذي يتنبه فيه ، فيتروى في الامر فيعدل عن الاعتماد على غير
الماديات ، ويضرب على فم بعض الغشاشين المتملقين الخائنين ، الذين
ينسبون حضرة الى ما لم ينتسب هو اليه ، ويشيعون عنه دعوى
مادعاها قط احد من اجداده العظام بوجه رسمي .

وهؤلاء الغشاشون يفرون حضرة السلطان على هذه الدعوى
بما يهرفون به عليه ، وبما يؤلفونه هم واعوانهم من الكتب والرسائل
التي يعززون بعضها لانفسهم ، وبعضها لغيرهم من المنافقين أو لاسماء
يسمونها او كتب يخلقونها ، فيجعلون تارة آل عثمان العظام
يتصلون نسبا بعثمان بن عفان رضي الله عنه ؛ وأخرى يرفعون نسبهم
الى اعالي قريش ويعطونهم حق الخلافة ، مرة بالتنازل من العباسيين ،
واخرى بالاستحقاق والوراثة ، وآونة بالعهد ، واخرى بالبيعة العامة ،
وحينا بخدمة الحرمين الشريفين . ووقتاً بحفظ الخلفات النبوية .

وكأن هؤلاء الغشاشين يريدون بهذه الدسائس ان يجعلوا
حضرة السلطان نظيرهم : دعي نسب كاذب كدعواهم لانفسهم
السيادة ، ومتسهم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقبطانية في
انفسهم وآبائهم وأجدادهم ؛ فيحشون في تلك المؤلفات انسابا انحلوها

لانفسهم مقرونة بنسب حضرة السلطان ؛ ويستطردون لحكايات
كرامات لاجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترفها لهم احد من المسلمين ،
يدسونها بين حكايات ووقائع الخلفاء والسلاطين .

ومن المعلوم عند اهل الوقوف ، ان التلقب بالخلافة والامامة
الكبرى أو امارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد
المرحوم السلطان محمود ، حيث صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك
احيانا تفنناً في الاجلال وغلوا في التعظيم ، ثم توسع استعمال هذه
الالتقاب في عهد ابنه وحفيديه الى ان بلغ ما بلغه اليوم بسمي اولئك
الفشاشين ، الذين يدفعون ويقودون حضرة السلطان الحالي للتنازل
عن حقوق راسخة سلطانية لاجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في
وضعها بشرائط ثقيلة ، لانلائم احوال الملك ، ومعرضة بطبعها للقلقلة
والانتزاع والخطر العظيم .

ولذلك ، حضرات السلاطين انفسهم لم يزلوا الى الآن متحفظين
عن التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم ، انما تخضعها
افواه البعض ، فيلو كها التركي تعظيماً لقومه ، والعربي نفاً لسلطانة ،
والمصري آباءاً للمرائين ، والهندي اعتزازاً بالوهم ، والاجنبي هزواً
ومكراً ؛ بخلاف حضرات سلطان مراکش وامير عمان وامام

اليمين ، المتنازعين في هذا المقام رسماً ، المتقاطعين لاجله ، على انهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك . ولا نعلم متى يخلق الله من يسعى في اقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ، ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ، ومراسم التشریفات والمخاطبات ، وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وامراء ، كما آل اليه الامر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والايويين وغيرهم .

ثم قال ابومير : وقد حملتني اشارات السيد القرآني في كلامه على الجامعة الدينية تحت لواء الخلافة ، ان افكر في القواعد الاساسية التي ينبغي ان يُبنى عليها ذلك . فلاح لي ساقيدته في هذه المفكرة ، واخرج من جيبه ورقة قرأها ، وعند ختام مجلسنا استنسختها منه وصورتها :

- ١ - اقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرائط في مكة .
- ٢ - يكون حكم الخليفة سياسة مقصوراً على الخطة الحجازية ، ومربوطاً بشورى خاصة حجازية .
- ٣ - الخليفة ينيب عنه من يرأس هيئة شورى عامة اسلامية .
- ٤ - تشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين ،

مندوبين من قبل جميع السلطنات والامارات الاسلامية ،
وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة
الدينية فقط .

٥ - تجتمع الشورى العامة مدة شهرين في كل سنة قبيل موسم
الحج .

٦ - مركز الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم
الشتاء ، والطائف في موسم الصيف .

٧ - تترع الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس
ويعينه الخليفة .

٨ - تتعين وظائف الشورى العامة بقانون مخصوص تضعه هي ،
ويصدق عليه من قبل السلطنات والامارات .

٩ - ترتب طبيعة الخليفة بشرائط مخصوصة ملائمة للشرع ، بناء على انه اذا
تعدى شرطاً منها ترتفع بيعته ، وفي كل ثلاث سنين يعاد
تجديد البيعة .

١٠ - انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة .

١١ - الخليفة يبلغ قرارات الشورى ويراقب تنفيذها .

١٢- الخليفة لا يتداخل في شيء من الشؤون السياسية والادارية في السلطنات والامارات قطعيًا .

١٣- الخليفة يصدق على توليات السلاطين والامراء التي تجري احترامًا للشرع على حسب اصولهم القديمة في وراثاتهم للولاية.

١٤- الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقًا، ويذكر اسمه في الخطبة قبل اسماء السلاطين ولا يذكر في المسكوكات .

١٥- يناط حفظ الامن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من الفين الى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطنات والامارات .

١٦- تكون القيادة العامة للجنود الحجازية منوطة بقائد من قبل احدى الامارات الصغيرة .

١٧- يكون القائد تحت امر هيئة الشورى مدة انعقادها .

١٨- هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة .

اما وظائف الشورى العامة فيقتضي ان لا تخرج عن تمحيص امهات المسائل الدينية التي لها تعلق مهم في سياسة الامة ، وتأثير قوي في اخلاقها ونشاطها . وذلك : مثل فتح باب النظر والاجتهاد

تخصيصا للشريعة ، وتيسيرا للدين ، وسد ابواب الحروب والغارات
والاسترقاق اتماما لمقتضيات الحكمة الزمانية .

وكفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من
ارشاداتها وان كانت غير مسلمة ، وسد ابواب الانقياد المطلق ولو
لمثل عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وكفتح باب اخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس ، وسد
باب اضاعة الاوقات بالعبث ، ونحو ذلك من امهات المنجيات والمهلك .
ثم قال الامير : وبمثل هذا الترتيب تنحل مشكلة الخلافة ،
ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقبس ترتيبه —
من قواعد اتحاد الالمانيين والامريكانيين مع الملاحظات الخاصة .
وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية
من الغوائل الداخلية والخارجية ، فتفرغ للتتري في المعارف والعمران
والثروة والقوة ، مما لا بد منه للنجاة من الميات . وما اجدر امارات
الجزيرة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد .

قال الصائب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الامير ، أنه
لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في امر الخلافة ، علاوة
على السلطنة .

قال الامير : اني احب العثمانيين للطف شمائلهم ، وتمظيمهم
الشعائر الدينية ، ولكن النصيحة للدين تستلزم قول الحق . وعندي
ان حضرات آل عثمان العظام انفسهم ، اذا تدبروا ، لا يجدون وسيلة
لتجديد حياتهم السياسية افضل من اجتماعهم مع غيرهم على
خليفة قرشي .

قال الصام : اخبرني ، ايها الامير ، احد أعضاء الجمعية انه لما
رأى السيد الفراتي يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين ، واستمالة
الجمعية عليهم لاهم ، ذكر له ذلك مرة متلوما ، وقال له : الا ينبغي ستر
أحوالهم والمدافعة عنهم ، لانهم اعظم دولة اسلامية موجودة .
فأجابه :

بان ذلك كذلك لولا ان فيه تفرير المسلمين ، وتركهم متكئين
على دولة ماتوققت لنفع الاسلامية بشيء في عز شبابها ، بل اضرتها
بحو الخلافة العباسية المجمع عليها ، وتخریب ما بناه العرب ، وافناء
الامة بفتوحاتها شرقي اوربا ومدافعاتها ، وانه لا يقصد بكشف
الحقيقة واظهارها غير ازالة الغرور والاتكال المستولين على جماهير
المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

أليس الترك قد تركوا الامة أربعة قرون ولا خليفة ، وتركوا

الدين تعبت به الاهواء ولا مرجع، وتركوا المسلمين صما بكاعما
ولا مرشد؟

أليس الترك قد تركوا الاندلس مبادلة. وتركوا الهند
مساهلة، وتركوا الممالك الجسيمة الآسيوية للروسين، وتركوا
قارة افريقيا الاسلامية للطامعين، وتركوا المداخلة في الصين كأنهم
الابعدون؟

أليس الترك قد تركوا وفود الملتجئين يعودون خائبين،
وتركوا المستنصرين بهم عرضة للمنتقمين، وتركوا ثلثي ملكهم
طعمة للمتغلبين؟

أما أن لهم ان يستيقظوا ويصبحوا من النادمين
على ما فرطوا في القرون الخالية، فيتركوا الخلافة لاهلها
والدين لحماة؛ وهم يحفظون على بقية سلطنتهم، ويكتفون بشرف
خدمة نفس الحرمين، وبذلك يتقون الله في الاسلام والمسلمين.

وقال أيضاً: انه غير متعصب للعرب، وانما يرى ما لا بد ان
يراه كل حُر مدقق يتفحص الامر: من ان الغيرة على الدين وأهله
والاستعداد لتجديد عز الاسلام، منحصران في اهل المعيشة البدوية من
العرب. اذ يرى ان المشيئة الآلهية حفظهم من تلك الامراض

الاخلاقية التي لادواء لها : كفالج الحرية في الحواضر ، باعتقاد أهلها .
انهم خلقوا أنعاما للامراء . وكجذام التربية في المدن بوضعهم النساء
في مقام رباط للاستمتاع . وكطاعون الحياء في بعض الاقوام
بافتهم اللواط المميت للاخلاق الشريفة دفعة الذي جزى الله أهله
بخسف الارض بهم تطهيرا لها منهم . وكوباء النشاط في اهل
الاراضي الخصبية ، حيث يسهل ان يغنوا ، فيبطروا ، فتفسد أخلاقهم
فينخسرون الدنيا والآخرة .

قال ابوصير : نعم الرأي ونعم التدقيق .

قال الصائب : ان ما ذكر مولاي من حصر صفة الخلافة في
خليفة قرشي في مكة ، ترتبط به جميع السلطنات والامارات
الاسلامية ارتباطاً دينياً ؛ وما وصف من تشكيل الشورى العامة
المؤيدة لهذا الارتباط الديني ، لامر عظيم جداً . والغالب ان الدول
المسيحية التي لها رعايا من المسلمين ، او المجاورة للمسلمين ، تحذر
من ان يجر جمع الكلمة الدينية الى رابطة سيامية تولد حروبا
دينية ، فتعمد هذه الدول الى عمل الدسائس والوسائل لمنع حصول
هذا الارتباط أساسا . فما هو التدبير الذي يقتضى اتخاذه امام تحذر
الدول من ذلك .

قال ابومير : لا يفكر هذا الفكر غير الفاتكان وأحزابه
الجزويت وأمثالهم ، امارجال السياسة في انكلترا وروسيا وفرنسا،
وهي الدول العظام التي يهملها التفكير في هذا الشأن ، فقد علمتهم
التجارب النتائج الآتية وهي :

١ - ان المسلمين لا يتنصرون ابداً ، لاسيما في زمان يتعد فيه
النصارى عن نصرانيتهم .

٢ - ان المسلمين المتنورين افرادا وجموعا ابعده عن الفتن من
الجاهلين .

٣ - ان العرب من المسلمين اقرب من غيرهم للالفة وحسن المعاملة
والثبات على العهد .

فاذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه ،
علمهم ايضا بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي يتهيبونها ، علما
يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم ، لامن مؤلفات
متعصبي الطرفين ، حيث يجدون نحواً من خمسين آية باساليب شتى ،
كلها تنهى عن الالحاح في الهداية الى الدين ، فضلا عن التشديد
والالزام بالقتال ، كقوله تعالى : (انك لاتهدي من أحببت) ،

(وجادلهم بالتي هي احسن) و (لست عليهم بمسيطر) . ويجدون آيتين في التشديد احدهما : (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في سبيل الله) ؛ وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انها نزلتا في حق المشركين والكتائبين من العرب ، ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمها .

وإذا دققوا البحث ، يجدون أن ليس في علماء الاسلام مطلقا من يمحصر معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين ، بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا ، حتى الكسب لاجل العيال ، يسمى جهادا .

وبذلك يعلمون ان قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنيا على ارادة الفتوحات ، والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات ، كما اعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي اصلى نارها المسيحيون .

ثم بعطف نظرهم الى التاريخ ، يجدون ان العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حربا باسم الجهاد . وما كانت تعديات اساطيل امارات الغرب الا من قبيل (القرصان) الذي كان مألوفاعند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليوناني وكلهم نصارى . اما غارات التاتار

على شمالي اوروبا وغارات الترك على شرقها، فكذلك ليست من نوع الجهاد
ولا من الحروب الدينية ، وإنما هي من ملحقات غارات البرابرة
الشماليين على اوروبا . ويجدون انهم كما اغاروا على اوروبا اغاروا على
البلاد الاسلامية ، ثم اسلم التاتار وحسنت اخلاقهم .

اما الترك ، فاذا دقق الاوربيون سياستهم ، يجدونهم لا يقصدون
بالاستناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم
بسهولة ، وارهاب اوروبا باسم الخلافة واسم الرأي العام . وعدم
اشترك البلاد العربية في المذابح الارمنية الاخيرة ، برهان كاف
على ان الاسلامية بمعزل عن المجافاة ، لان العرب يفهمون معنى
القرآن فيدينون به . وقد يندهش الاوربيون اذا علموا ان السياسة
التركية لم يوافقها ان تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن .

ولدى رجال السياسة دليل مهم آخر على ان أصل الاسلامية لا
يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم ، بل يستلزم الالفة ؛ وذلك ان
العرب اينما حلوا من البلاد ، جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم
ولغتهم ، كما انهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم وحكمتهم ،
فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الاتراك ، بل يعتبرون
دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لانهم يدعون لكلمة ربهم

تعالى شأنه : (وتلك الايام نداؤها بين الناس) .

فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يحدرون من الخلافة العربية ، بل يرون من صوالحهم الخصوصية ، وصوالح النصرانية ، وصوالح الانسانية ، ان يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة السطوة ، مربوطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك .

ثم على فرض ان بعض الدول ولو المسلمة ارادت عرقلة هذا الامر ، فهي لا تقوى عليه ، لان افكار الامم لا تقاوم ولا تصادم ، على اني لا اظن بمثل فرانس ان تنخدع لرأي انصار الجزويت ، لاسيما بعد ان تعلمت من الانكليز كيف تسوس المسلمين ، فابقت لتونس اميرها ، فاستراحت مماعانته قبل ان الجزائر بسبب السياسة التمصية الحرقاء .

قال الصاحب : استشف من كلام مولاي الامير ان أمله ضعيف في تشكيل جمعية تعليم الموحدين ، مع انه معجب باتقان التدبير .

قال ابومر : ان دون تشكيل الجمعية بعض عوائق مالية شتى ، وارجو الله تعالى ان يزيلها .

قال الصاحب : اني جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ،

ولعلي اظفر بعرفته فاجتمع به او اكاآبه ، فهل لمولاي الامير رأي
او امر ابلغه اياه اذا ظفرت به ؟

قال الومير : نعم اذا ظفرت بعرفته فاقرئه مني السلام ، وبلغه
عني هذه الجمل : وهي اني اثني على صدق عزيمته ، وعلى حسن انتخابه
رفقاءه ، واوصيه بالثبات والاقدام ولو طال المطال ، وان يحرص على
ابقاء علاقته مع اعضاء جمعية ام القرى باستمراره على مكاتبتهم . وان
لا يقنط من مساعدة القسطنطينية او مصر او مراكش او طهران او
كابل او حائل او عمان ، لاسيما بعد انعقاد جمعية تعليم الموحدين ورسوخها .
قال الصاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله ابشره بتحية مولاي
الامير ، وابلغه كل ما امر به .

(انتهت المحاوره)

يقول السير الفرائي : قد االحقت هذه المحاوره بسجل المذاكرات ،
وكتبت بها الى باقي الاخوان ، وذلك تنويها بشأن حضرة الامير
المشار اليه ، وشكرا على غيرته وتبصيراته ، واقتضارا بحسن ظنه
ونظره في هذا العاجز ، وتبشيرا لجنابه وللمسلمين ، بان جمعية ام
القرى قد احكم تصورهما وتأسيسهما ، فهي بعناية الهي القيوم الابدي
حية قائمة ابداً .

« نكرة »

ربما يتأخر تشكيل جمعية الموحدین مدة ، فالأموال من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والقرم ومصر وغيرها ان لاتأقف من تنوير افكارها بمباحث هذا السجل ، فتقتبس منه مايناسبها ، وتتخذ القانون والوظائف مثالا وذكري .

« رهاء »

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، وعنده شمة حمية ومروءة ، فلا يتجسس على جمعية ام القرى واعضائها بقصد ابصال سوء اليها . وليعلم ان يده وان طاولت الافلاك لا قصر من الاضرار بها ، لان الجمعية في امان الاخلاص . ولا يحيق المكر السيء الا باهله .

« نهجين »

ليعلم اسراء التقليد ، وورثة الاوهام ، ومعظمو العظام ومؤهلوا الطغام ، ان تألمهم من صدمة بعض هذه المباحث لما الفوه عمرهم هو تألم مباحث ، لا يلبث ان يزول متى خلوا بمقولتهم وحكموا بالحكمة والانصاف ، وتأملوا حق الايمان وناطق القرآن ، وحينئذ يتجلى لهم الحق ، ويندمون كما ندم قبلهم الاولون ، فيتوبون ويتوب الله عليهم ، والله يهدي من يشاء .

« اعلموه »

من احب ان ينجذ مقاصد جمعية ام القرى برأي فائق او عمل مهم ،
او رغب في تعضيدها بجاه او مال ، و اراد مراسلة الجمعية ، امكنه ان يرسل
وكالة الجمعية بدون اسم بل برسالة كتاب معلنون الى مدينة
الى صندوق بوسته عدد و اذا اراد التخفي يمكنه ان يخبرها او لا
باسم له مختلق ، ثم بعد اخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة الجفرية الموضحة
في الجدول المذيل به هذا السجل .

والذين يرجى منهم تعضيد مهم كحضرات الامراء المظام والاغنياء
الكرام ، فلهم ان يطلبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستوضحون .



« بيان بكتفه الزمان »

قثذطسظساظغطبطاتركططارقبديضردث
براوالتوولدجيجيضيغوقببجمريطبسجقككد
ثلصظجبثثسغ١٣١٦قككابقبذنخذوصنتث
لعتسيشرززلجلظثككدقديسيسدمكقب
رضدجغفججعيقبججهفحوهتضسظضخخيكن
ملقذوكطحردفودنادرلكدذللاحوقدرك
كثخظيضيغويلخديثروملكرظخوثنخبري
سسخسيصسخدلثباتاقبثعللبظبددبقبثب
سجدكزرزكننتوولننتوحدغبخرجسمثمغذ
جشجضكخهلطصللجلكقسححيضدنددصج
فرلكقسصقكعوضريخاعطريضديظ

صالح

مراجع عن حياة الكواكبي وانظاره

- عبد الرحمن الكواكبي : ١- «ام القرى» وهو :
سجل مذكرات جمعية «ام القرى» في مؤتمر
النهضة الاسلامية المنعقد في مكة المكرمة
سنة ١٣١٦ هـ .
- ٢- «طبائع الاستبداد ومصارع الاستبداد» طبع
مراراً، وآخر طبعاته صدرت بصورة كاملة
لاول مرة منقحة ومضافة في حلب عام ١٩٥٨ .
- محمد رشيد رضا : ١- مجلة المنار ١٩٠١ .
«طبائع الاستبداد» في باب الهدايا والتقاريظ .
٢- مجلة المنار ١٩٠٢، «ام القرى» في باب التقاريظ .
٣- مجلة المنار، السبت ٧ حزيران ١٩٠٢ :
« مصاب عظيم بوفاة عالم حكيم »
- برجعي زبران : ١- «السيد عبد الرحمن الكواكبي» مجلة الهلال،
١٥ يوليو ١٩٠٢، واعيد نشر المقال في كتاب
« مشاهير الشرق » ١٩٠٣ .
٢- « تاريخ آداب اللغة العربية » القاهرة ١٩٣٧ .

- محمد كرد علي** : ١- « السيد عبد الرحمن الكواكبي » مجلة المقطف ،
اول تموز ١٩٠٢ .
- ٢- « المذكرات » دمشق ١٩٤٨ .
- فيليب دي طرازي** : « تاريخ الصحافة العربية » : جرائد حلب ،
بيروت ١٩١٣ .
- الاب لويس سيفو** : « عبد الرحمن الكواكبي » ، مقالات في مجلة
« المشرق » بيروت ١٩٢٥ . وفي كتاب « تاريخ
الآداب العربية » في الربع الاول من القرن
العشرين بيروت ١٩٢٦ ص ١٨ .
- الشيخ محمد رغب الطباخ** : « السيد عبد الرحمن الكواكبي » « اعلام النبلاء
بتاريخ حلب الشهباء » حلب ١٩٢٦ الجزء السابع .
ومجلة « الجمع العلمي العربي » بدمشق عام ١٩٣٠ .
- طامل الفزري** : « عبد الرحمن الكواكبي » بطل الحرية وفقيد
المشرق ، مجلة الحديث - العدد السابع ، تموز
حلب ١٩٢٩ .
- محمد لطفى صمعة** : « ثلاثة رجال : الافغاني ، والكواكبي ، والثعالبي » .
مجلة الحديث - حلب ١٩٣٧ .
- ابراهيم سليم النجار** : « عبد الرحمن الكواكبي » من ذكريات الماضي ،
مجلة الحديث - حلب ١٩٤٠ .

غير الدين الزركابي : «الاعلام» قاموس تراجم - عبد الرحمن
ابن احمد الكواكبي - مصر ١٩٢٧ .

برهان الدين الداغستاني : «عبد الرحمن الكواكبي» - مجلة «الثقافة»
مصر ٣١٠/٥ .

صمد امين : «السيد عبد الرحمن الكواكبي» فيض الخاطر
القاهرة ١٩٤٥ .
ثم في كتابه «زعماء الاصلاح في العصر الحديث»
القاهرة ١٩٤٨ .

عبد الله كنود : «السيد عبد الرحمن الكواكبي» في كتابه
«التعاشيب» - نطوان .

الدكتور عبد الرحمن الكواكبي : بحث في دعوة الكواكبي الى الاشتراكية
الاسلامية في :

«مبادئ المدالة الاجتماعية في الاسلام»
رسالة للدكتوراه في العلوم الاقتصادية -
باريس ١٩٥١ .

سامي الكبيالي :
١- عبد الرحمن الكواكبي، مجلة «الكتاب»
القاهرة يناير ١٩٤٧

٢- «ذكرى الكواكبي» بمناسبة مرور خمسين
سنة على وفاته، مجلة الحديث حلب - ايلول ١٩٥٢

الدكتور محمد اسمعيل الكواكبي: بحث عن حياة والده « عبد الرحمن الكواكبي »
مجلة « الحديث » ، حلب ١٩٥٢ .

محمد جميل بيهم : « عهد الكواكبي في العالم العربي » ، مجلة « الحديث » ،
حلب ١٩٥٢ .

الدكتور عبد الرحمن الكيالي: المبادئ، الخالدة في كتابي « طبائع الاستبداد »
و « أم القرى » ، مجلة « الحديث » ، حلب ١٩٥٢ .

ابنسي الخوري المقدسي : « الاتجاهات الادبية في العالم العربي الحديث »
بيروت ١٩٥٢ .

مارون عبود : « عبد الرحمن الكواكبي » ، في كتاب « رواد
النهضة الحديثة » ، بيروت ١٩٥٢

محمد زكي عبد القادر : « عبد الرحمن الكواكبي : ذكرى مرور نصف
قرن على وفاته » . مجلة « الفصول » ، العدد ٩٥
اغسطس ١٩٥٢ - القاهرة .

الدكتور محمد احمد خلف الله: « الكواكبي ، حياته وآراؤه » - الناشر مكتبة
العرب بالقاهرة .

اغناطيوس كرتسكوفسكي: « رأي في طبائع الاستبداد » بمجلة « المستشرقين »
١٨٦/٣١ (M. S. O. S.)

الدكتور بطرس بطرس غالي : « الكواكبي والجامعة الاسلامية » - المجلد
المصرية للقانون الدولي المجلد الثالث عشر ١٩٥٧ .

الدكتور سامي الدقانه : « عبد الرحمن الكواكبي » الكتاب ٢٣ من
مجموعة (نوابع الفكر العربي) صدر عن دار
المعارف بالقاهرة - ١٩٥٨ .

محمد شاهين صحمة : « عبد الرحمن الكواكبي او العبقرية الناضرة » ،
سلسلة اعلام الحرية ، صدر عن المكتبة العلمية
بالقاهرة - ١٩٥٨ .

بحث في التراث العربي : « عبد الرحمن الكواكبي » مجلة « الند »
- العدد الاول - يناير ١٩٥٩ - القاهرة .

الدكتور عبد العزيز رفاعي : « الكواكبي ودوره في حركة البعث القومي »
مجلة « الشهر » - العدد ١٣ ، آذار ١٩٥٩ -
القاهرة .

صالح جودت : « الناصر الذي قاوم عباس وعبد الحميد » مقال في
مجلة المصور - العدد ١٧٩٨ ، ٢٧ مارس ١٩٥٩

فهرس

اكثر المباحث المهمة الواردة في سجل المذاكرات

| | <u>صفحة</u> |
|---------------|---|
| | <u>مقدمة</u> |
| السيد الفراتي | ٣ اسباب تشكيل الجمعية. |
| - | ٤ كيفية تشكيل الجمعية . |
| | <u>الاجتماع الاول :</u> |
| - | ٨ صورة المذاكرات. |
| الاستاذ المكي | ١٠ تاريخ الانحطاط والانتباه الاخير . |
| - | ١٢ الاكتام . والرجوع لمذهب السلف . |
| - | ١٣ الاسلامية في جزيرة العرب ، مرتبة تحقيق لائمة . |
| - | ١٥ قوة الامل في النهضة الدينية . |
| - | ١٦ وجود الكفاء . والاعتماد على الجمعيات . |
| - | ١٩ برنامج مباحث الجمعية . |

| | <u>صفحة</u> |
|--------------------------|--|
| | ٢١ |
| <u>الاجتماع الثاني :</u> | |
| الاستاذ المسكي | شمول الفتور لكافة المسلمين ٢١ |
| الصاحب الهندي | يوجد من هم أحط من المسلمين . ٢٣ |
| - | لا يوجد من لا يدين بدين . ٢٤ |
| - | تكون الشؤون على حسب الدين . ٢٤ |
| الفاضل الشامي | عقيدة الجبر وعدم تأثيرها . ٢٦ |
| البلغ القدسي | ماهو الزهد في الاسلام . ٢٧ |
| - | حق الولاية في الهداية للدين . ٢٨ |
| - | تبدل نوع السياسة . والتفرق في الدين . ٢٩ |
| - | غلبة الاخلاق الجندية . ٣٠ |
| الحكيم التونسي | جهل الامراء وحرصهم على الاستبداد . ٣٠ |
| المولى الرومي | ماهي الحرية ، ماهي اهميتها . ٣١ |
| - | سبب الاخلاص للضمول والمهمات . ٣٣ |
| - | عدم شعور الهندي والمصري بالام غيره . ٣٤ |
| المجتهد التبريزي | ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ٣٥ |
| | سهولة ازالة المنكر . |

| | <u>صفحة</u> |
|--|-------------|
| المجتهد التبريزي | ٣٥ |
| فقد الاحتساب باستيلاء الدخلاء ، | |
| ماهي الطاعة لاولي الامر. | |
| المرشد الفاسي | ٣٧ |
| السلطان الكافر العادل ام المسلم الظالم. | |
| - | ٣٨ |
| انحلال الرابطة بفقد الرؤساء. | |
| المحقق المدني | ٣٩ |
| العلماء المدلسين و افسادهم الدين. | |
| - | ٤٠ |
| مآخذ البدع الدينية من النصرانية وغيرها . | |
| - | ٤٢ |
| الميل العام للبدع والتصوف . | |
| - | ٤٤ |
| تمكن الاوهام في الامراء والعواصم وما هو السحر . | |
| المولى الرومي | ٤٥ |
| فقد العلماء وضياح الدين . | |
| - | ٤٦ |
| العلماء الرسميون. | |
| | ٤٧ |
| <u>الاجتماع الثالث :</u> | |
| - | ٤٨ |
| اختصاص القضاء بالجهلاء . الالقباب العامية والسلطانية . | |
| - | ٤٨ |
| بجاهرة العلماء بمخالفة الدين . تولية الخدم الدينية للجهلاء . | |
| - | ٤٩ |
| هدم قواعد الدين على يد العلماء . | |
| - | ٥١ |
| الامراء والشورى . وفقر العلماء . | |
| الرياضي الكردي | ٥٣ |
| اقتصار التعليم على بعض العلوم . | |

| | <u>صفحة</u> |
|---|-------------|
| تقصير الوعاظ والخطباء والمرشدين في وظائفهم الرياضي الكردي | ٥٦ |
| اليأس من المباراة واللاحق ، الكامل الاسكندري | ٥٧ |
| فقد السراة والجمعيات . | |
| الفقيه الافغاني | ٥٩ |
| استحكام الجهل بسبب الفقر . | |
| السعيد الانكليزي | ٦٠ |
| المعيشة الاشتراكية الاسلامية . | |
| » | ٦١ |
| الاجتماعات والمفاوضات . | |
| الامام الصيني | ٦٤ |
| حكام الامة ووظائفهم . | |
| - | ٦٦ |
| الشورى في الاسلام . | |
| العالم النجدي | ٦٨ |
| الدين ليس مابه ندين . | |
| - | ٧١ |
| تطرق الشرك وشؤمه . | |
| | ٧٥ |
| <u>الاجتماع الرابع :</u> | |
| - | ٧٥ |
| ماهو الدين . | |
| - | ٧٧ |
| ماهو الاسلام والتوحيد . | |
| - | ٧٩ |
| موارد الشرك . | |
| - | ٨٠ |
| التوحيد اساس الحرية . | |
| - | ٨٢ |
| ماهو الشرك . ماهو التوحيد . | |

| | <u>صفحة</u> |
|------------------|-----------------------------|
| العالم النجدي | ٨٨ |
| - | ٩١ |
| - | ٩٥ |
| - | ٩٩ |
| - | ١٠١ |
| | <u>الاجتماع الخامس:</u> ١٠٥ |
| | ١٠٥ |
| السعيد الانكليزي | ١٠٦ |
| - | ١٠٧ |
| العالم النجدي | ١٠٩ |
| - | ١١٠ |
| - | ١١٢ |
| السعيد الانكليزي | ١١٢ |
| العلامة المصري | ١١٣ |
| المحدث اليمني | ١١٥ |
| - | ١١٦ |

| | <u>صفحة</u> |
|-----------------|-------------------------|
| المحدث اليمني | ١١٨ |
| = | ١١٩ |
| = | ١٢١ |
| = | ١٢٢ |
| = | ١٢٤ |
| | <u>الاجتماع السادس:</u> |
| الشيخ السندي | ١٢٨ |
| = | ١٣٠ |
| = | ١٣١ |
| الاستاذ المكي | ١٣٢ |
| الخطيب القازاني | ١٣٥ |
| = | ١٣٦ |
| = | ١٣٩ |
| = | ١٤٣ |
| = | ١٤٤ |
| = | ١٤٥ |

| | <u>صفحة</u> |
|------------------|---|
| المجتهد التبريزي | ١٤٧ |
| - | الجدل في العقائد والفقہ . |
| - | ١٤٩ |
| - | التفريق في الدين . |
| - | ١٥٠ |
| - | الاجتهاد عند علماء فارس . |
| - | ١٥١ |
| - | التلفيق والتوفيق في الاجتهاديات . |
| - | ١٥٤ |
| - | الحيل الشرعية وسقامتها . |
| - | ١٥٥ |
| - | توفيق الاحكام على مقتضيات الزمان . |
| | ١٥٧ |
| | <u>الاجتماع السابع :</u> |
| السيد الفرائي | ١٥٨ |
| - | تلخيص اسباب الفتور . |
| - | ١٥٨ |
| - | الاسباب الدينية . |
| - | ١٦٠ |
| - | الاسباب السياسية . |
| - | ١٦١ |
| - | الاسباب الاخلاقية . |
| - | ١٦٣ |
| - | الاسباب السياسية والادارية الجارية في المملكة العثمانية . |
| - | ١٦٣ |
| - | الاستقلال النوعي والاداري . |
| - | ١٦٤ |
| - | بخس العرب حقوقهم . |
| - | ١٦٥ |
| - | اهمال رعاية الشرع . |
| - | ١٦٧ |
| - | حالة الادارة في الحجاز . |

| | <u>صفحة</u> |
|--|-------------|
| السيد الفراتي | ١٦٧ |
| اسباب شتى للفتور . | ١٦٨ |
| نطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة . | ١٦٩ |
| نفور الترك من العرب . | ١٧٣ |
| <u>الاجتماع الثامن :</u> | ١٧٣ |
| الفرارة بفقد المرشدين . | ١٧٤ |
| الفرارة عن الاتقان . | ١٧٥ |
| الفرور بالمقدرة . | ١٧٧ |
| اللوث في الامور . | ١٧٨ |
| جهل النساء وتأثيراته . | ١٨٠ |
| رماية الكفاءة في النساء . | ١٨١ |
| الخور في الطبيعة . | ١٨٢ |
| الواهنة والناشئة . | ١٨٣ |
| الناشئة المحمديون . | ١٨٤ |
| الناشئة المتفرنجون . | ١٨٦ |
| وسيلة التغلب على الواهنة . | ١٨٩ |
| <u>الاجتماع التاسع والعاشر والحادي عشر :</u> | |

| | |
|--|-----|
| <u>الاجتماع الثاني عشر :</u> | ١٩١ |
| قانون جمعية تعليم الموحدين . المقدمة والمقررات . | ١٩١ |
| الفصل الاول : في تشكيل الجمعية . | ١٩٣ |
| الفصل الثاني : في مباني الجمعية . | ١٩٩ |
| الفصل الثالث : في مالية الجمعية . | ٢٠١ |
| الفصل الرابع : في وظائف الجمعية . | ٢٠٣ |
| خاتمة القانون . | ٢١٠ |
| المفاوضات الاخيرة . | ٢١٠ |
| الجمعية ومصر وامراؤها . | ٢١٢ |
| ايات للاديب البيروتي . | ٢١٥ |
| <u>زجل :</u> | ٢١٦ |
| خصائص الاقوام . | ٢١٧ |
| مزايا جزيرة العرب . | ٢١٨ |
| مزايا عرب الجزيرة . | ٢١٩ |
| مزايا العرب عموما . | ٢٢٠ |

| | <u>صفحة</u> |
|---|-------------|
| <u>المقدمة :</u> | ٢٢٣ |
| محاورة بين صاحب الهندي والامير في انتقاد المذاكرات. | ٢٢٣ |
| حضرات ملوك آل عثمان والنهضة الدينية . | ٢٢٧ |
| تقديم الملك على الدين . | ٢٢٩ |
| دعوى الخلافة حديثا والغشاشون . | ٢٣٢ |
| اقامة خلافة قرشية دينية في مكة المكرمة . | ٢٣٤ |
| وظائف الشورى العامة . | ٢٣٥ |
| الترك والخلافة . | ٢٣٨ |
| الخلافة العربية وبعض الدول المسيحية . | ٢٤٠ |

عبدالرحمن الكواكبي

أم القري

وهو ضبط مفاد وأصناف ومفترقات مؤتمبر النهضة الإسلامية
المنعقد في مكة المكرمة سنة ١٣١٦

العرب من أحسن الأسم على احترام لهدود عنة ،
واسترام الذمة انسانية ، واحترام اجوار
شهامته ، وبذل المعروف مروءة .

دار الراءد العربي

بيروت • لبنان

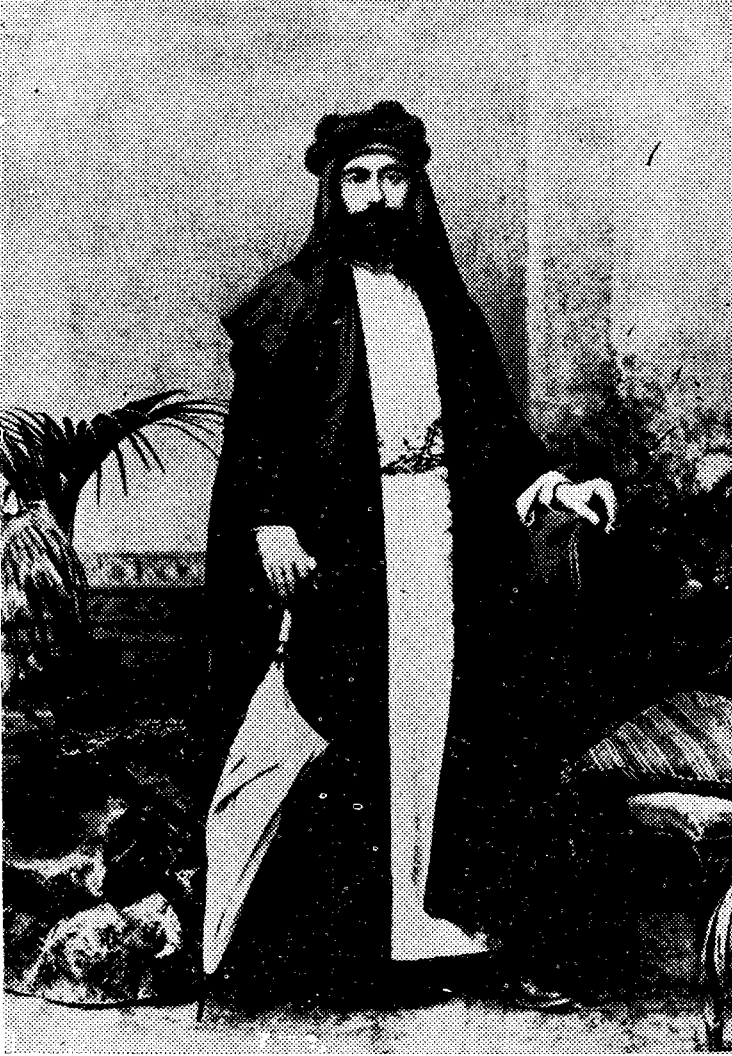
ص.ب. ٦٥٨٥

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

أَمَّا الْمَتْرَى



عبد الرحمن الكواكبي

